375

HARLEQUIN

روايات أحلام

لست حبيبي!

ميرندا لي

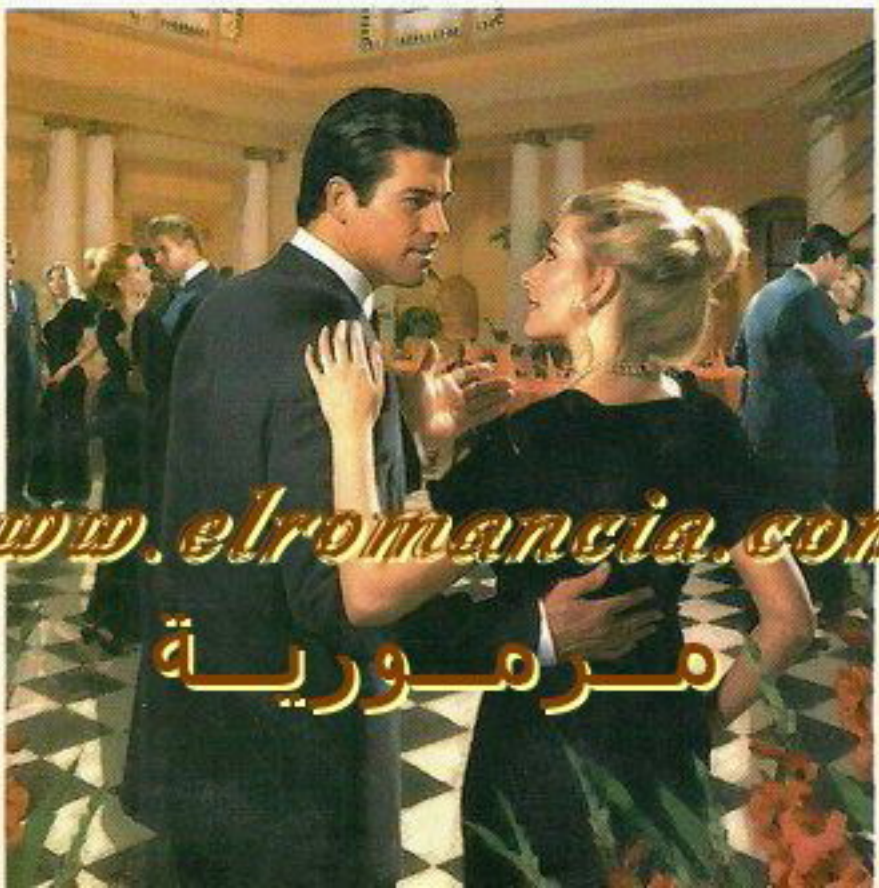

www.elromancia.com
مرمورية

لست حبيبي!

زواجه منها كان شرعياً، مع أنه لم يقل لك قط "أحبك"، وهي لم اختارته هو بالذات!
أبسبب نظراته الساحرة، أم بسبب سحره الرجولي؟ أم لذكائه الخارق كمحام لامع؟ أو تجاوباً مع رغبته الجارفة في إغوائها؟
كثير من الرجال وقع في حبها سابقاً، لكن جميعهم لم يكونوا مثل دانييل بانيستر، فهو شخص آخر مختلف تماماً. من سواه يرفع دقات قلبها ويجعله يصم أذنيها؟
كل هذا من جراء نظرة فكيف باعتراف منه بحبها؟!
أجل، ستنتزع منه هذا الاعتراف حتى ولو كان قلبه أقسى من الصخر!

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س.	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 9953-15-329-9

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
His Bride for one night
First published in Great Britain 2005
Harlequin Mills & Boon Limited
© miranda Lee 2005
Translation © Dar El-Farasha - 2005
ISBN 9953 - 15 - 329 -9

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

ميراندا لي

كاتبة استرالية، تعيش قرب مدينة سدني. ولدت وتربت في منطقة ريفية. تعلمة في مدرسة داخلية واتجهت إلى مجال الموسيقى لفترة وجيزة، وذلك قبل أن تنتقل إلى سدني وتغوص في عالم الكومبيوتر.

تعيش ميراندا زواجاً سعيداً، ولديها ثلاث بنات، بدأت بكتابة الروايات العاطفية عندما اضطرت إلى البقاء في المنزل بسبب التزاماتها العائلية. تفضل كتابة القصص الواقعية ذات الأحداث المتسارعة والتي تتميز بها.

تشمل اهتماماتها قراءة القصص الشهيرة والكلمات المتقاطعة ومشاهدة الأفلام السينمائية.

١ - إلى أرض الوطن

حدق دانيال بالمنظر الخلاب الذي تراءى له من خلال زجاج نافذة الطائرة، فبدا له منظر المدينة والشاطئ مذهلاً. كان قائد الطائرة قد أعلن لتوه عن تأخير بسيط في موعد الهبوط في مدارج مطار ماسكوت، فيما كانت الطائرة تحلق فوق مدينة سيدني. كان معظم المسافرين على متن الطائرة من السياح، وأراد القبطان أن يتيح لهم إلقاء نظرة من الجو على المدينة التي اشتهرت بأنها تملك أفضل مرفأ وأفضل شاطئ في العالم.

لم يكن ذلك ادعاء مبالغاً فيه برأي دانيال، فقد سبق له أن حلّق فوق العديد من المدن المدهشة بجمالها، كنيويورك، سان فرنسيسكو وريودي جينيرو، إلاّ أن سيدني تمثل فئة خاصة وفريدة من نوعها بين المدن.

ربما كان ضوء الصباح المبكر هو ما جعل الشواطئ تبدو أنصع بياضاً، والمياه أشد زرقة. لكن مجرد رؤية ذلك المرفأ المدهش الذي يحتوي على معالم بارزة شهيرة كالجسر الكبير ودار الأوبرا اللذين يتألقان تحت شمس الصيف الرائعة، أدخل السرور إلى قلب دانيال.

كانت بيت محقة عندما أصرّت بأن يعود إلى الوطن، ولو حتى لمجرد الزيارة. الوطن...!

من المضحك حقاً أنه اعتبر سيدني، على الدوام، موطنه الأم، لأنها المدينة التي ولد فيها. صحيح بأنه تعلّم في مدارسها منذ بلوغه الثانية عشرة من عمره وحتى سن الثامنة عشرة، ما يفتر إلى حد كبير عدم اكتسابه اللكنة الأميركية. إلا أنه أمضى معظم حياته في الولايات المتحدة، وفي لوس انجلوس على وجه

التحديد.

ومع أن الحياة في لوس أنجلوس قاسية، لكن دانيال استطاع أن يكون على مستوى قساوتها. حتى إن المرء يستطيع القول إنه كان مستفيداً من تلك القساوة. إلاّ أن الحياة نالت منه أخيراً، فعيد الميلاد الأخير الذي مر به كان حزيناً مظلماً. وذلك أن أمه قد توفيت في وقت سابق من تلك السنة.

شعر دانيال برعشة تسري في عموده الفقري. فعلى الرغم من مرور ثمانية أشهر على وفاة والدته المسكينة، ما زال الأمر يبدو وكأنه حصل بالأمس القريب.

لم يستطع دانيال تمالك نفسه عندما ظهر والده في جنازتها متأبطاً ذراع زوجته الجديدة. في الواقع، إنها الزوجة الرابعة، وهي امرأة شابة شقراء. أما والده، فسوف يبلغ الخامسة والستين من عمره في الشهر القادم، وكان يكبر والدته بعشر سنوات. لكن يبدو أن المتتجين الناجحين ما زالوا قادرين على جذب اهتمام النجمات المبتدئات والزواج بهن.

كانت عينا أمه تشعان بالحياة عندما التقت بن بانيستر الوسيم للمرة الأولى في حياتها، وذلك أثناء قيام هذا الأخير بجولة في مدينة سيدني بهدف البحث عن النجوم الجدد.

كان والده في ذلك الوقت رجلاً ذو خبرة، وهو في الثلاثين من عمره، فيما كانت والدته فتاة ساذجة في العشرين من العمر.

كثيراً ما تساءل دانيال عن السبب الذي دفع والده إلى الزواج بأمه، فتلك الفتاة الشقراء الصغيرة القادمة من بوندي ما كانت لتتناسب مع أسلوب حياته البتة. حسناً، سرعان ما أصبحت حاملاً منه، وسرعان ما عاد هو إلى أميركا تاركاً إياها لتربي ابنها وحدها هنا في أوستراليا.

لم تصمد أي من زيجات والده لأكثر من عدة سنوات وهي مدة قصوى، لكن كل زيجة منها كانت تثمر ولداً أو اثنين. ووجد دانيال نفسه ولديه عدد من الأخوة والأخوات غير الأشقاء، لكنه بالكاد يعرفهم. لم يعد والده الآن مقيماً

في لوس انجلوس، فلقد انتقل إلى نيويورك بعد أن ترك والدة دانيال، ولم يكن عمر هذا الأخير يتجاوز السادسة، أو لعله كان في السابعة فقط.

وفكر دانيال متأملاً بأنه كان على الأرجح، في السابعة من عمره. أما شقيقته بيث فكانت في بداية محاولاتها للمشي في ذلك الوقت. فهو يكبرها بست سنوات. ومهما كان الأمر، فقد كان كبيراً بما يكفي لكي يشعر بالمعاناة التي شعرت بها أمه، تلك الأم الطيبة التي لم تستطع تجاوز خيانة زوجها لها. فقبل أن يخرج زوجها من الباب، أخبرها، بكل قسوة، بأنه لم يكن مخلصاً لها طيلة فترة زواجهما. في بادئ الأمر جربت والدته تناول الحبوب المهدئة، لتتحول بعد ذلك إلى السهر والخروج برفقة الرجال الآخرين، لا سيّما الشبان منهم. تمتع هؤلاء برفقتها كما تمتعوا بالأموال التي حصلت عليها بعد تسوية طلاقها بسهولة كسهولة استخدامهم للمياه.

وعندما ساءت الأمور إلى درجة كبيرة، تدخل جده لأمه. فأعاده مع شقيقته بيث إلى أوستراليا ليعيشا معه فأمّن لهما بذلك تعليماً جيداً وتنشئة أكثر استقراراً. أحب الطفلان الحياة في سيدني مع جدهما الأرمل، إلا أن بيث أحبت الحياة فيها أكثر منه. ولم تمض عدة شهور حتى أعلنت بأنها ترغب في البقاء في هذه المدينة إلى الأبد. وقد أحب دانييال الحياة في هذه المدينة أيضاً، إلا أنه كان أكبر من شقيقته وأكثر قلقاً منها على أمه. ومع أن رسائل أمه كانت توحي دائماً بأنها بخير، إلا أنها لم تذكر لهم يوماً السبب الذي يمنعها من السفر إلى سيدني لزيارتهما. ومن جملة الأخبار الطيبة التي حملتها رسائلها، كان تأكيدها التوقف عن تناول الحبوب المهدئة، والالتحاق بوظيفة جيدة.

ما إن أنهى دانيال دراسته الثانوية حتى شعر بأن عليه العودة إلى لوس أنجلوس. وكم كان ارتياحه كبيراً لرؤية أمه وقد توقفت عن تناول الحبوب المهدئة، مع أنها بدت متقدمة جداً في السن، ما جعله يشعر بالأسف من أجلها. ومع أنها حصلت على وظيفة بالفعل، إلا أن أجرها كان ضئيلاً، لذا فقد كانت تعيش في حي وضيع يعج بالفوضى. أخفق دانيال في إقناع أمه بالعودة إلى

أوستراليا، وكان رفضها، برأيه، نوعاً من الكبرياء المغلفة. فاستدان من جده بعض المال لتأمين مكان لائق للعيش لكليهما، ثم انتسب إلى إحدى الجامعات المحلية لدراسة القانون. اضطر يومها إلى العمل في ثلاث وظائف بدوام جزئي من أجل تأمين أقساط جامعته، وللتأكد من أن أمه لن ينقصها أي شيء.

عندما تخرج دانيال، كان الأول على طلاب صفه، فسارعت إحدى المؤسسات القانونية الشهيرة في لوس انجلوس وهي «جونسون، أونيل ومورکروفت» إلى الاستحواذ عليه. وسرعان ما ثبت أقدامه في هذه المؤسسة كأقوى وأنجح محام في القضايا المتعلقة بالطلاق. استطاع دانيال في وقت قصير إيفاء الأموال التي استدانها من جده، مضيفاً إليها الفوائد المستحقة. وعندما حصل على مكافأته المالية السنوية الضخمة، أودعها في حساب مشترك مع والدته، حساب غير خاضع للضريبة، ثم اشترى غرفة في مكان قريب تصلح لإقامة شاب أعزب. فبقدر ما كان دانيال يقدّر والدته بقدر ما شعر بأن الوقت أصبح مناسباً كي يمتلك مكاناً يعيش فيه باستقلالية عنها.

خلال السنوات القليلة التالية لبدئه بممارسة مهنته، كان دانيال يترافع عن الرجال والنساء على السواء. لكن، عندما أصبح شريكاً في المؤسسة، أعلن بأنه في المستقبل لن يترافع إلا عن النساء فقط. أما الرجال فقد ترك قضاياهم لمحامين آخرين، وذلك بعد وقت قصير من بلوغه سن الثلاثين.

وجد دانيال متعة كبيرة في منع الأزواج السيئين، الذين يمتلكون من المال أكثر مما يمتلكون من المبادئ الأخلاقية، من التملص بطرق ملتوية من دفع ما يتوجب عليهم لزوجاتهم السابقات. بذل جهداً قاسياً من أجل تحصيل الأمان المادي للنساء اللواتي لا سند لهن، والنساء المخدوعات اللواتي فقدن الأمل بالحياة. أولئك النساء اللواتي لم يعدن شابات، جميلات، أو مثيرات بما يكفي لأزواج وعدوهم في ما مضى بتقديم الحب والكرامة والاحترام لهن إلى الأبد.

بدا دانيال ضارياً، بصورة خاصة، لتحقيق العدل عند وجود أطفال، لا سيما حين لا يبدي الآباء استعدادهم لتحمل مسؤولياتهم في تربية أبنائهم.

وبالطبع، كان هناك الكثير من أمثال هؤلاء. فالآباء الذين تخلّوا عن أولادهم عليهم أن يدفعوا الثمن.

أثناء إحدى مكالماتها الهاتفية الأسبوعية من سيدني، قالت له شقيقته الصغرى، وهي أكثر تفاؤلاً منه: «ليس كل الرجال متشابهين».

لم تعد بيث إلى أميركا، حتى بعد وفاة جدها الذي أحبته كثيراً. وكانت قد قالت له في وقت سابق: «إذا ما انهار زواجنا، فإن فينس لن يتخلى عن ولدنا، أو أولادنا. ومع أنني لا أعرف كم من الأولاد سأرزق، ولكنني أعتقد أنه لن يكون ولداً واحداً فقط» والآن، هاهي بيث حامل بطفلها الأول، وهي في شهرها السابع. وأضافت بيث بسرعة: «هذا لا يعني بأن زواجنا سوف ينهار في يوم من الأيام. صحيح أننا نمر بأوقات صعبة وأخرى جيدة، لكننا ما نزال نحب بعضنا كثيراً.

وفكّر دانيال أنهما يحبّان بعضهما البعض... فيما كانت الطائرة تميل إلى جانبها لتبدأ هبوطها في المطار.

ما الذي يعنيه بالضبط «الوقوع في الحب»؟

لم يسبق له أن شعر بشيء يدعى الحب، إنه متأكد من ذلك. ها قد أصبح في السادسة والثلاثين من عمره، ولم يقع في الحب بعد.

بالطبع، لقد أعجب بالعديد من النساء، وتاق إلى صحبتهن، لكن ذلك لا يشبه في شيء الوقوع في الحب. فلم يسبق له أن شعر باشتياق مجنون لامرأة، ما يجعله مستعداً للقيام بأي شيء للحصول عليها، كأن يطلب يدها للزواج على سبيل المثال. وفكر أنه لو وقع في الحب يوماً ما، فإنه لا يتخيل نفسه متزوجاً. فهو قد شهد في حياته من حالات الطلاق ما يجعله عازفاً عن التجربة بنفسه.

قبل اسبوعين من عيد الميلاد، وقبل أن تسارع آخر صديقة له بالخروج من مكتبه وحياته، قالت له: «إنك نذل سخيف، وذو قلب بارد. وأنا أرفض أن أضيّع وقتاً أكبر عليك يا دانيال بانيستر. من الواضح أنك لا تحبني، وأنا أشك بأنك تعرف ما هو الحب».

أخيراً، أدرك دانيال بأن كل ما قالته كان صواباً، وذلك بعد خروجها من مكتبه، فغضبها الشديد أجبره على النظر مطوّلاً والتأمل بمجريات حياته.

لطالما ألقى دانيال اللوم على والده لأنه متعدد الزيجات، لكنه لم يكن أفضل منه بكثير في ما يتعلق بالعلاقات مع النساء. لقد أصبح عاشقاً مستمراً، يتنقل من امرأة إلى أخرى بدون أن يلزم نفسه بأي شيء. ولم يكن يشعر بالقلق عندما تصل هذه العلاقات إلى نهايتها، وهذا ما كان يحصل على الدوام.

نعم، إنه سخيف، نذل، وقاسي القلب تماماً. وهو ليس ذلك الفارس الشهم الذي يتحصن بدروعه اللامعة، كما كان يتخيّل نفسه دائماً.

ها هو بعد مرور شهرين، يجلس داخل طائرة تحوم فوق سيدني، وما زال يحاول أن يتوافق مع تقييمه الشخصيته، كما يحاول تبرير سلوكه السابق. لكنه لم يفلح في ذلك كثيراً. حسناً، لم يسبق له أن كذب على عشيقاته، أو وعدهن بشيء جدي، أو خان قسماً قطعه لهن، أو تخلّى عن طفل. لكنه، مع ذلك، تسبب بالأذى للنساء اللواتي خرجن معه، واللواتي طمعن منه بأشياء تفوق ما كان مستعداً لتقديمه لهن.

يعرف دانيال جيداً بأنه صيد ثمين للنساء، كما يقولون. فهو رجل جذاب من الناحية الجسدية، ناضج من الناحية المهنية، وحصين من الناحية المالية. إنه، باختصار، ذلك النوع من الرجال الذي يشيد به معارفه المتزوجون، وينصحون به النساء العازبات الباحثات عن أزواج.

والحق يقال بأن دانيال استطاع على الدوام التخلص من النساء اللواتي دأبن على نصب الشراك له، مبقياً على علاقاته مع النساء اللواتي - كان يظن خاطئاً - أنهن ملتزمات بالعمل معه لا أكثر.

لكنه أدرك، متأخراً، بأن معظم أولئك النساء اللواتي كرّسن حياتهن لمهن مختلفة، قد تغيّرن عندما بدأت ساعاتهن البيولوجية بالعمل. وفجأة، بدا أن هؤلاء النساء بدأن يلاحظن أجراس الأعراس وأحذية الأطفال. بينما كل ما أردنه في البداية، بعض الأحاديث المثيرة على العشاء، وبعض التسلية في نهاية

السهرة، وهو الأمر الذي كان يجد سعادة بالغة في تقديمه لهن.

تسمّرت نظرات دانيال، وهو يتأمل المنظر من خلال زجاج نافذة الطائرة. وراح يتساءل إن كان الرجال أيضاً يعانون في وقت من الأوقات من ضغط ساعاتهم البيولوجية، لا سيّما أنه أكمل عامه السادس والثلاثين في الشهر الماضي.

ربما يلتقي قريباً بفتاة ما، فيبدأ فجأة بالشعور بأشياء لم يشعر بها من قبل. ولربما سيفقد رشده بسبب الحب والرغبة التي لا يستطيع السيطرة عليها.

ندّت عنه ضحكة صغيرة جافة. تابع أحلامك يا دانيال! . . . إنك تتكلم عن نفسك أيها النذل السخيف، الإرادة القلب. أنت آخر رجل على وجه هذه الأرض يمكن أن يفقد رشده بسبب امرأة!

الصوت الذي أحدثته إطارات الطائرة على المدرج جعل دانيال يجفل في مقعده، فقد كان غارقاً في أفكاره إلى درجة نسي معها أمر هبوط الطائرة.

ركّز نظراته مرة أخرى كي يستطيع رؤية سيدني من خلال زجاج النافذة. إلى يسار الطائرة، امتدّ خليج مياه تحيط به الرمال، وقد ظهرت أمامه مباشرة المنطقة الصناعية. أما عن يمينه فامتدت المنطقة السكنية. عادة ما تقع المطارات في ضواحي المدن، إلاّ أن مطار ماسكوت لا يبعد كثيراً عن المركز التجاري لسيدني.

يقع منزل شقيقة دانيال في روزباي، أي في الضاحية الشرقية للمدينة، وهو لا يبعد كثيراً عن الوسط التجاري. وقد وعدته شقيقته بأن تلاقيه في المطار، على الرغم من حملها المتقدم ووصوله في وقت مبكر.

يعرف دانيال بأنه سوف يشعر بالارتياح بعد قضاء أسبوعين هنا، في سيدني، مع شقيقته وزوجها. من المدهش كم يحب الأوستراليون الحياة السهلة. وبيث هي أوسترالية في الصميم.

يعزو البعض ذلك إلى الطقس الحار، لكن دانيال لا يصدق أن للأمر أي علاقة بالطقس، فهو يرجع السبب إلى عزلتهم. فالأوستراليون يعيشون في

مكان بعيد جداً، وهم لم يتلوثوا بعد بعادات العالم السيئة المجنونة. وعلى حد علمه، ما زال الأوستراليون يعملون لكي يعيشوا، ولم يبدؤوا بعد بالعيش لكي يعملوا فقط، كما يفعل الأميركيون.

أمل دانيال أن يكتسب شيئاً من تلك الفلسفة خلال زيارته هذه. فقد كان في دائرة الخطر بأن يصبح مدمناً على العمل. والعمل لساعات متواصلة، من دون فترات استراحة، جعل منه رجلاً متبلداً. لا شك أن أسبوعين من الاسترخاء التام سيكونان ذوي منفعة عظيمة له.

٢ - لست... خطيبي!

استيقظت شارلوت على صوت الدقات المزعجة للمنبه، تماماً كما يفعل أي شخص آخر إذا ما استيقظ عند الساعة الخامسة صباحاً من يوم الجمعة. لا سيّما إذا كان قد أوى إلى فراشه عند الثانية فجراً. رفعت شارلوت ذراعها فوق الغطاء، وسارعت إلى إسكات صوت المنبه المزعج بلمسة من إصبعها. تقلبت في فراشها، وتكوّرت على نفسها لأخذ عشر دقائق أخرى من النوم الثمين.

لكن، قبل أن تتمكن من العودة إلى نعمة الإغفاء، تذكرت، فجأة، السبب الذي دعاها إلى ضبط المنبّه على تلك الساعة المزعجة من الصباح.

إن موعد وصول رحلة غاري هو السادسة والثلث صباحاً!

مع أن المسافة التي تفصل بوندي عن ماسكوت ليست بعيدة، وهي لا تستغرق وقتاً طويلاً، لا سيّما في ساعات الصباح المبكرة، إلا أن شارلوت تحتاج إلى بعض الوقت الإضافي لتجهّز نفسها وتبدو رائعة عندما تلتقي بخطيبها. وهذا هو سبب استيقاظها المبكر.

أزاحت الغطاء بسرعة، وقفزت من السرير. وسرعان ما أطلقت شتيمة بعد أن ارتطمت ساقها بزاويته. راحت تمسّد فخذها وهي تعرج في طريقها إلى الحمام.

ندّت عنها صرخة «آه» مدوّية عندما تمكنت، أخيراً، من رأية صورتها في المرآة الموجودة فوق منضدة التجميل.

ما إن أطلقت شارلوت صرخة الذعر هذه، حتى فوجئت بظهور لويزا، شريكتها في السكن، على باب الحمام، وقد بدت هذه الأخيرة في حالة مزرية

www.elromancia.com

أيضاً. بادرتها لويزا بالسؤال وعيناها ما تزالان شبه مغمضتين: «لِمَ كل هذه الضجّة؟».

تأوّهت شارلوت بصوت يائس: «انظري إلي! هذا كلّه بسببك يا لويزا. ما كان يجدر بك أن تقيمي تلك الحفلة قبل يومين فقط من زفافي. وقبل ليلة واحدة من وصول غاري. أنت تعرفين ما يفعله السهر الطويل بي، هذا بالإضافة إلى عدم تمكني من النوم جيداً. يا إلهي! أبدو مرعبة تماماً».

لكن لويزا صرخت بوجهها قائلة: «من المستحيل أن تظهري بمظهر مرعب تماماً، حتى لو كانت حياتك تعتمد على هذا الأمر. على أي حال، أنت تبدين رائعة بجذور شعرك السوداء تلك».

تأوّهت شارلوت مرة أخرى. لا بد أن لويزا قد أصيبت بالعمى! فشعرها يبدو مرعباً حقاً.

إن الحفاظ على مظهرها بشعرها الأشقر الطويل، لم يكن دون ثمن. فقد أرادت المحافظة على صورة الشقراء ذات الشعر الذهبي، التي التقاها غاري وأغرم بها على الفور في ساحل الذهب، قبل سنة من الآن. إلا أن كل المهارات التي تمتلكها هي ولويزا في حقل التزيين النسائي لم تنجح في منع الضرر الذي أصاب شعرها البني الداكن الغزير بسبب الصبغ المتواصل.

بعد نوبة غضب أعقبت انفصالها عن دواين، قررت شارلوت أن تصبح شقراء في تلك العطلة. فقد كانت صديقته الجديدة شقراء. لكنها لم ترغب بابقاء شعرها أشقر، بل قرّرت أن تقصه بعد ذلك وتعيد إليه لونه الأصلي. لكن خططها تغيرت بعد لقائها بغاري. وها هي الآن ما تزال شقراء بعد مرور ثمانية أشهر على ذلك. شقراء بشعر ذي جذور سوداء وأطراف متفسخة متشققة.

تمنت شارلوت لو أنها لم تؤجل صبغ جذور شعرها حتى يوم زفافها، إذ كان يجدر بها القيام بذلك البارحة. كما كان عليها أن تعالج شعرها وتقصّره قليلاً.

قالت لويزا وهي تتثاءب: «عليّ أن استخدم الحمّام. لِمَ لا تحضرين لي بعض القهوة، وسوف أقوم بتجفيف شعرك مقابل ذلك؟».

أجابتها شارلوت بنبرة ملؤها التوسل: «أتظنين أنك تستطيعين قص شعري بسرعة، ومعالجته على الفور أيضاً؟».

- من تظنينني أكون؟ عرّابتك الجنيّة؟ حسناً، حسناً. أسرعي بتحضير القهوة.

بعد مرور ساعة من الزمن، بدت شارلوت بأفضل ما يمكن لها أن تبدو وفي مثل هذه الظروف. لكن، في الواقع، إذا ما استمرت في صبغ شعرها وتجفيفه بمجفف الشعر بهذه القسوة، فإنها سوف تخسره في النهاية، كما أشارت لويزا.

وأضافت لويزا بجفاء: «إن كان غاري يحبك حقاً، فلن يكترث إن كان شعرك طويلاً أم قصيراً، وإذا كنت شقراء أم سمراء».

ظلت كلمات لويزا تتردد في ذهنها خلال رحلتها القصيرة بالسيارة إلى المطار. إذا كان غاري يحبك حقاً...

لم تكن هذه المرة الأولى التي تعبر فيها لويزا عن شكوكها حول حقيقة مشاعر الحب التي يبديها غاري نحو صديقتها، والعكس صحيح أيضاً. لكن شارلوت تفهّمت شكوك صديقتها تماماً. فمعظم علاقتها بذلك المحامي الأميركي الوسيم تطورت عبر الإنترنت، وهذا فخ بحد ذاته. فتبادل الرسائل الالكترونية لا يشبه في شيء قضاء الوقت مع بعضهما البعض. لكن، من الطبيعي أن يكون من الأسهل تبادل الرسائل والكلمات من السفر على الدوام لهذه المسافة الطويلة، وتفهمت شارلوت ذلك بالطبع.

بالإضافة إلى ذلك، فإن علاقتهما لم تكن تقتصر على البريد الالكتروني فقط. ذلك أن لقاءهما الأول كان لقاءً حقيقياً، لكن، مع الأسف، فإن الوقت الذي أمضياه سوياً كان قصيراً جداً. حدث ذلك في آخر ليلة من عطلتها في ساحل الذهب، وآخر ليلة من عطلة غاري في أوستراليا أيضاً. إذ كان من المفترض به أن يرجع إلى لوس انجلوس في اليوم التالي.

يومها تسللت برفقة غاري عبر غرفة مزدحمة، هي في الحقيقة مقهى عابق بدخان السجائر. وكان قبل ذلك قد طلب منها أن ترقص معه.

أمضيا تلك الليلة معاً. لكن، بالطبع ليس في السرير. فشارلوت ليست من ذلك الصنف من الفتيات اللواتي يقفزن إلى السرير لمجرد إمضاءة من الرجل. لا سيما إذا كان هذا الرجل أميركياً متملقاً جاء لقضاء عطلة في هذه البلاد. بدا غاري متأثراً حين أظهرت ممانعتها حيال ملاطفته لها. تنزها يداً بيد لساعات على الشاطئ، وهما يتبادلان الأحاديث. وعندما كانا يراقبان طلوع الشمس معاً، أخبرها بأنها الفتاة التي انتظرها طيلة حياته.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، رافقته إلى المطار حيث وعدها بأن يتصل بها ما إن يصل إلى منزله. أما عناقه الوداعي، فقد جعل رأسها يدور، وعوّضها ذلك بعض الضرر الذي سببه لها دواين.

عند عودتها إلى سيدني، حذّرتها لويزا بأن الرجال الذين تلتقي بهم في العطلات نادراً ما يبادرون إلى الاتصال لاحقاً، لكن غاري قام بذلك فعلاً. اتصل بها هاتفياً ما إن وصل إلى لوس أنجلوس. ومنذ ذلك الوقت، ما زالا على اتصال دائم، إمّا عبر الهاتف، أو عبر الانترنت في معظم الأحيان.

تملّك شارلوت إحساس بأنها باتت تعرف غاري بصورة أفضل مما كانت تعرف دواين على الإطلاق. دواين، ذلك القذر الذي هدرت عليه السنتين الماضيتين من حياتها، والذي تخلص منها ما إن تعرّف على إحدى بنات الليل. وسرعان ما أصبحت هذه الأخيرة حاملاً بطفله.

عندما طلب غاري منها أن تتزوجه، في أواخر تشرين الثاني الماضي، لم تتردد شارلوت بالموافقة.

لربما كانت تتردد بالموافقة لو لم يبدِ استعداداً للزواج بها هنا، في سيدني، وللعيش فيها لبقية حياته.

وهمس صوت بغيض في أذنها: لربما فعلت ذلك لو لم تشارفي على الثالثة والثلاثين من عمرك، وأصبحت تخشين من عدم إيجاد زوج بعد اليوم. لكن شارلوت طردت تلك الفكرة العديمة الفائدة من رأسها، فهي الآن تستعد للزواج بطريقة مهيبة.

للزواج بطريقة مهيبة.

أملت بألا يعارض غاري ذلك، لأنه يرغب باحتفال بسيط للزواج. فهو لا يريد إقامة احتفال كبير في الكنيسة، بل يود أن يقتصر حفل الزفاف على الكاهن وبعض المدعوين فقط. فغاري ليس لديه أسرة، إذ قتل والداه في حريق مأساوي عندما كان مراهقاً. لكن والد شارلوت لن يرضى على الإطلاق، بعد انتظار دام ثلاثة وثلاثين عاماً، بأن يسلم ابنته الصغرى لعريسها دون احتفال مهيب ترتدي فيه ابنته الفستان الأبيض بكل ما يحمله من زركشة.

في قرارة نفسها، شعرت شارلوت بالسرور لأن والدها أصرّ على ذلك. فأختاها اللتان تكبرانها في السن بدتا عروسين جميلتين بفستاني زفافهما. ولم تكن شارلوت لترضى بأن تكون أقل منهما جمالاً يوم زفافها. استطاعت شارلوت اقناع والديها بالموافقة متجنبة ذكر الكنيسة واقتصار الحفل على عدد قليل من المدعوين، لكن الأمور الأخرى ظلت تقليدية تماماً، بما في ذلك حفل الاستقبال، وكعكة العرس المؤلفة من ثلاث طبقات، ورقصة الفالس الخاصة بالعروسين..

لم تخبر شارلوت غاري بكل هذه التفاصيل، وقررت أن تقول له إن ذلك كله لم يكن من تخطيطها، بل من عمل والديها. ولم يكن على غاري أن يدفع مقابل أي من هذه الترتيبات، لأن والدها قد وقع على فاتورة الحساب مسبقاً. يا له من والد عزيز طيّب! كل ما تبقى لغاري أن يقوم به هو ارتداء البذلة السوداء الأنيقة، المستأجرة لهذا اليوم فقط. ورتبت شارلوت أمر قياسه للبذلة هذا المساء قبل أن يرتديها في الغد.

وفكرت أنها بذلك لا تطلب الكثير من غاري، لا سيّما إذا كان يحبها فعلاً. لا بد أنه يحبها، وإلا لما تكبد عناء قطع هذه المسافات كلها ليتزوج بها. ولو لم يكن يحبها لما أرسل لها خاتم الياقوت الأزرق الماسي الخاص بالخطوبة.

نظرة واحدة منها إلى الخاتم المستقر في إصبعها بعثت الطمأنينة في نفسها. بعد نصف ساعة، كانت شارلوت تذرع أرض قاعة الاستقبال في المطار،

مقابل البوابة المخصصة لوصول رحلة غاري. راحت تسير جيئة وذهاباً، وعيناها مسمرتان على سلم الطائرة الذي يفترض أن ينزل منه خطيبها، بعد خروجه من الطائرة التي هبطت منذ عشر دقائق. ومع أن الطائرة تأخرت في الهبوط، لكن نادراً ما يتم تأخير المسافرين في درجة رجال الأعمال في الجمارك.

لم تتمكن من التوقف عن الحركة، وشعرت بتقلص في معدتها لشدة توترها. شعرت بشيء من الرهبة أو الخوف، من المضي قدماً في الزواج من رجل لم تعرفه جيداً قبل الزواج.

على أي حال، قد يكون ذلك أمراً جيداً. فهي قد عرفت الكثير من أصدقائها، ولم يتقدم أي منهم بطلب يدها للزواج. قد يكون السبب في ذلك أنها أصابتهم جميعاً بالخيبة. فلا شك أن عدم استمتاعها بصحبتهم كان يزعجهم.

تكلمت شارلوت مع غاري بهذا الصدد بصراحة تامة، وطمأنها هذا الأخير بأنه يود أن يتزوجها لأنها جميلة، دافئة وحلوة، كما أنها ترغب بالأشياء نفسها التي يرغب هو فيها: الأسرة. وبأنه واثق تماماً بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

هناك! إنه هناك!

راحت شارلوت تقفز عن الأرض وهي تلوح بيدها وتبتسم.

- هنا! هنا! إنني هنا!

وعندما أدار الرجل وجهه الأسمر الوسيم نحوها تجمدت يد شارلوت في الهواء، وتلاشت ابتسامتها على الفور. ذلك أن الرجل لم يكن غاري، بل شخصاً آخر يشبهه في ملامحه العامة. إنه رجل يزيد طوله عن الستة أقدام، وهو طول غاري نفسه، أما شعره فيشبه شعر غاري القصير، ذا اللون البني الداكن، كما أنه يشبهه في صورته الجانبية أيضاً؛ جبهة عالية، أنف قوي، وفك صلب.

لكن عندما ركّز الرجل نظره عليها، لاحظت شارلوت أن عينيه لا تشبهان عيني غاري أبداً. فعينا هذا الرجل غائرتان، حتى إنهما ليستا زرقاوين بل بنيتين، وهما تبدوان سوداوين عندما تضيقان تحت حاجبيه المستقيمين الداكنين. وها هما الآن ضيقتان، فيما هو يركز نظراته عليها.

لم يسبق لأحد في حياتها أن نظر إليها بالطريقة التي ينظر بها هذا الرجل إليها الآن. أما تأثير نظراته تلك فلم يكن أقل من الوخز.

عندما بدأ الرجل يدفع عربة حقائبه نحوها، تدلت ذراعها إلى الأسفل لتمسك بالحقيبة المدلاة على كتفها وتزيحها إلى صدرها في حركة دفاعية غريبة. على الرغم من خجلها الشديد، لم تستطع تحويل نظراتها عن الرجل، وأطالت التحديق بتينك العينين السوداوين الجذابتين.

- هل أرسلتك بيث لملاقاتي؟

سألها الرجل ذلك وهو يتوقف بعربته أمامها، ولم تكن لهجته بعيدة عن لهجة غاري.

يا الله، غاري! نسيت كل ما يتعلق به في غمرة ارتباكها.

- أنا آسفة، لا.

قدمت له اعتذارها بسرعة، ثم حوّلت بصرها بعيداً عن هذا الغريب الذي أثار فيها الاضطراب، وراحت تبحث بعينيها عن غاري، علّه يظهر في مكان ما. ثم عادت تقول بسرعة وبارتباك ظاهر: «لا أعرف أحداً يدعى بيث. للحظة، ظننت أنك خطيبي».

وعادت عيناها تبحثان عن غاري بين صف المسافرين الطويل المستقيم، وكان هؤلاء قد بدؤوا بمغادرة القاعة. لكن غاري لم يكن بينهم.

نظرت مرة أخرى نحو ذلك الأميركي الذي بقي واقفاً في مكانه. إنه ما زال ينظر إليها، لكن نظراته أصبحت الآن فضولية أكثر، بينما كانت تحمل في البداية.. ماذا على وجه التحديد؟

إنها ليست متأكدة تماماً!

- في الواقع، أنت تشبهه.. من ذلك النوع.

في الحقيقة، لم يكن غاري يشبه هذا الرجل تماماً. فهو حسن الطلعة، إلا أن هذا الرجل وسيم إلى درجة تجعل القلب يتراقص في مكانه.

- آه، نعم!

بدت الدهشة واضحة في صوته وفي عينيه، ما جعلها تشعر بالانزعاج. بِمَ يفكر هذا الرجل؟ أو على الأصح، بِمَ كان يأمل؟ ولم تدرِ شارلوت ما الذي دفعها إلى متابعة الحديث فقالت: «سنتزوج غداً».

وفترت له بذلك لماذا لوّحت له بيدها وابتسمت له.

تنقلت نظراته ببطء من قمة رأسها حتى أخمص قدميها، ثم قال متمتماً: «يا له من رجل محظوظ!».

فجأة، أدركت شارلوت ما الذي رأته يلتمع في عينيه في وقت سابق، وأدركت لما بدا الآن محبطاً.

لطالما رأت الرغبة في وجوه العديد من الرجال من قبل، لكن لم يسبق لهذه الرسالة أن وصلت بمثل هذه القوة، ومن مثل هاتين العينين الرائعتين. لم تكن عيناه جميلتين فقط، بل تتميزان بالذكاء والدهاء، بل بالإثارة أيضاً.

ارتجفت أحاسيسها الأنثوية ما إن وصلتها رسالته مرة أخرى، وسرى في شرايينها تيار مدغدغ نشر الدفء في جسدها بأكمله.

لم تشعر بمثل هذه الصدمة من قبل، واحمر وجهها خجلاً. لماذا حدث ذلك معها الآن؟ فهي لم تحمر خجلاً منذ سنوات طويلة!

- استميحك عذراً.

قالت ذلك وهي تجبر ساقيها على حملها بعيداً عن حضوره المقلق. ولكن، حتى بعد أن عادت للبحث عن غاري، ظل ذهنها متعلقاً بهذا الغريب الوسيم.

من تراه يكون؟ وماذا يفعل هنا، في سيدني؟

٣ - كفاني!

شعر دانيال بالامتنان عندما انصرفت. فما الذي كان يفعله، بحق السماء، وهو ينظر إليها بهذه الطريقة؟

التحرش بالنساء ليس من طبعه مطلقاً، بالإضافة إلى ذلك، فإنها امرأة شقراء، من ذلك الصنف المعلّب. وهو يشعر بالنفور من الشقراوات المعلّبات.

لكن، فليكن منصفاً مع نفسه، لم تكن تلك الشقراء من الصنف المعلّب المعتاد، أي من تلك الفئة من النساء اللواتي دأب والده على الزواج بهن، أو ذلك النوع الذي طالما التقاه دايال في لوس أنجلوس؛ نساء أفرطن في صبغ شعورهن وتزييفها، وهي لم تكن الشيء الوحيد المزيف فيهن.

أما شعر هذه المرأة، فبالرغم من جذوره السوداء، بدا ناعماً ومسرحاً ببساطة، ومنسدلاً بانسياب حتى منتصف ظهرها. كما أن وجهها لم يكن مزيفاً أيضاً، بل بدا جميلاً بقدر ما بدا طبيعياً ساراً. وإذا كنت قد استخدمت بعض مساحيق التجميل، فمن المؤكد أن يداً خبيرة قامت بذلك. أما بشرتها فلم يبدُ أنها تحتاج إلى عناية، على أي حال، إذ بدت جميلة، نقية، تميل قليلاً إلى السمرة. وظهر في عينيها جمال طبيعي، وقد بدتا زرقاوين متسعتين كالمحيط الهادئ، مع أطول وأغزر رموش شاهدها في حياته.

بدا واضحاً أنها تضع ملمعاً للشفاه، فقد ظهرت شفتاها الامعتين أكثر من المعتاد عندما كان يحدّق بها.

سحب دانيال نفسه من أفكاره تلك، واستدار بعيداً عن المكان الذي كان

يقف فيه. إنها المرة الأولى، منذ زمن طويل، التي تصرعه فيها امرأة من النظرة الأولى. والمرة الأولى منذ زمن أطول، التي يفشل فيها في الحصول على امرأة سحرته كما سحرته هذه المرأة.

على الرجل الذكي أن يميز الهدف الذي يستحق الملاحقة عن سواه. هذه الفتاة تستعد للزواج غداً، وليس من المنطقي أن يتوقع بأنها ستكون طوع يديه. وعلى أي حال، لا يمكنه أن يتوقع منها أن تستجيب له.

ولعل هذا هو السبب الذي يزعجه الآن؛ لقد استجابت له، أليس كذلك؟ لقد رأى التماعة الاستجابة له في عينيها، واستطاع أن يميز التوتر الشديد في لغة جسدها. وأحس بأنها شدهت بانجذابها إليه كما شده هو بانجذابه إليها.

أما ما رآه على وجهها من الخجل حين راح يتفحصها صعوداً وهبوطاً، فلربما نتج عن الإحراج. لكنه يشك بأن يكون الأمر كذلك، فهي امرأة ناضجة، وليست بتلك الفتاة الساذجة.

لا! فقد استجابت له حقاً. وهذا هو الأمر الذي سبب له انزعاجاً كبيراً.

دانيال ليس من ذلك النوع من الرجال الذين يرضون بالخسارة، لكنه كان مجبراً على قبول ذلك هذه المرة، وبمنتهى اللباقة. إذ يتعين عليه أن ينسى كل إشارات الإعجاب المتبادل بينهما، ويمضي بعيداً.

راح يبحث في القاعة المزدحمة عن أخته، بعد أن صمّم ألاّ يعود ثانية إلى الناحية التي توجهت إليها الشقراء. فآخر شيء يريده هو رؤيتها وهي تعانق رجلاً آخر.

لم يكن هناك أثر لبيث في أي مكان. يتعيّن عليها أن تكون هنا، فالطائرة تأخرت في الهبوط لمدة كافية.

إن كان هناك من عيب في شقيقته بيث، فهو عدم احترامها المزمن للمواعيد، وتأخرها عنها.

سمع دانيال أزيز هاتفه الخليوي، فحمله ورفعه إلى أذنه ثم قال بجفاء: «نعم،

بيث».

- أنا آسفة دانيال، لكنني تأخرت في النوم. كنت مشتاقة لرؤيتك اليوم إلى درجة منعتني من النوم في الوقت المحدد، لذلك استرخيت على الأريكة لمشاهدة التلفزيون، ويبدو أنني غفوت هناك. وهكذا، لم أكن في سريري عندما رن جرس المنبه. وطبعاً، سارع فينس للضغط على الزر لإسكاته، ثم عاد إلى النوم.

- لا عليك، سأستقل سيارة أجرة.

- لا، لا، لا تفعل ذلك. فأنا في طريقي إليك. تناول بعض الطعام في المقهى الذي يقع في الناحية البعيدة من قاعة الوصول، وسوف أوافيك في غضون عشرين دقيقة، حسناً؟

- حسناً.

وافقها دانيال والتردد واضح في نبرة صوته.

- ألست غاضباً مني؟

- لا!

- أنا مندهشة لذلك.

- لقد قررت وأنا في الطائرة أن أصبح أكثر استرخاء في المستقبل.

أبلغها بذلك وهو يبتسم ابتسامة تنم عن السخرية، لأنه في تلك اللحظة، لم يكن يشعر بالاسترخاء. من الواضح أنه يحتاج إلى تمرين أكثر لكي يتقبل الخسارة، ويتمكن من مواجهة خيبات الأمل.

- أنت لا تمزح إذن! إنها المرة الأولى التي تقوم فيها بذلك. اسمع، عليّ أن أقطع المكالمة الآن. لا أستطيع المخاطرة بضبطي وأنا أتكلم على الهاتف النقال أثناء القيادة. لقد خسرت ثلاث نقاط من رخصة قيادتي حتى الآن جراء السرعة. أراك قريباً.

أعاد دانيال الهاتف إلى جيبه، وقد علّت وجهه ابتسامة ساخرة. ثم دفع

بعربة حقائبه باتجاه المقهى الذي أرشدته إليه بيث. وهناك، طلب كوباً من القهوة لأنه سبق أن تناول فطوره على متن الطائرة، ثم اختار لنفسه مكاناً إلى طاولة نظيفة، قبل أن يشبك ذراعيه فوق صدره ويبدأ بمراقبة الناس الذين يمرون أمامه.

يا لها من فكرة سيئة!

ذلك أن الشخص الذي كان يتجه نحوه في تلك اللحظة، لم يكن سوى تلك الشقراء الفائقة الجمال، لكن من دون خطيب إلى جانبها. كانت تمشي ببطء شديد، وهي تمسك بهاتف نقال صغير جذاب وزهري اللون، بالقرب من أذنها. لم تكن تلاحظه على الإطلاق، فقد كان رأسها الجميل محنياً قليلاً، وتركيزها منصباً على المحادثة التي تجريها.

ومرة أخرى، لم يستطع دانيال تحويل نظراته عنها.. وهذه المرة لم يركز على وجهها بقدر ما ركّز على بقية أنحاء جسدها، الذي بدا بحركته البطيئة مثيراً يشد أنظار المرء إليه.

لاحظ أن لديها قدمين صغيرتين وجميلتين، وقد بدتا للعيان بفضل صندالها المرتفع الكعبين والمفتوح عند أصابع قدميها. كانت أظافر قدميها مطلية باللون الزهري الفاتح نفسه المماثل للون بلوزتها وهاتفها الخليوي.

اقتربت شارلوت منه، لاحظ دانيال بأنها تبدو شاحبة. ليس فقط شاحبة، بل إنها ترتجف أيضاً. بدا واضحاً أنها تلقت بعض الأخبار السيئة.

توقفت في مكان قريب من طاولته، بحيث استطاع أن يسمعها، ثم قالت بصوت مرتفع: «لا أصدق هذا! لا يمكن للحياة أن تكون بمثل هذه القسوة!».

آه، لا بد أن شيئاً ما أصاب خطيبها الغائب! على الرغم من تمنّيه بأن تكون تلك الشقراء حرة، خالية من أي ارتباط، إلا أن دانيال لم يكن من الأنانية بحيث يأمل أن يصيب صديقها حادث ما، أو أي شيء مرعب مثل هذا.

وقالت الشقراء فجأة: «يا له من نذل!».

وهنا ارتفع حاجبا دانيال.

لا، لم يكن هناك حادث ما. بكل بساطة لم يظهر ذلك الوغد. واستنتج من كيفية سير الأمور، بأنه لن يظهر مطلقاً.

على الرغم من شعوره بالأسف تجاه الفتاة، انفتحت أمام عيني دانيال كل أنواع المشاهد العاطفية.

إنه في الواقع، رجل عادي تجري في شرايينه دماء حمراء، وهو ليس قديساً.

تابعت الفتاة الشقراء القول بنبرة متقطعة: «لا، سأكون بخير. فأنا أقوى من ذلك كله. بالطبع، لن أنفجر بالبكاء، فأنا في مكان عام، بحق السماء! سأنتظر إلى أن أصل إلى البيت، أو على الأقل إلى السيارة».

إلاّ أنها لم تنتظر حتى وصولها إلى البيت، أو حتى إلى السيارة. إذ ما إن قالت وداعاً للشخص الذي كانت تتحدث إليه، حتى انهمرت دموعها. وهي لم تكن دموعاً عادية بل عبرات كبيرة اندفعت بغزارة.

أدرك دانيال السبب الذي دفع الشخص الآخر الذي كان يتحدث إليها عبر الهاتف إلى القلق بشأن بكائها.

قفز من مكانه وهو يشكر حظه، وسارع إلى نجدة الفتاة.

- هل يمكنني مساعدتك؟

سألها دانيال ذلك وهو يضع يداً حازمة ولكن مترفقة على إحدى كتفيها المرتجفتين.

تسمّرت شارلوت في مكانها، وتطلعت من خلال رموشها المخضّبة.

إنه هو، الأميركي الوسيم الذي شاهدته من قبل، والذي ظنت أنه غاري. إنه الرجل الذي حدّق إليها بعينين دافئتين، جائعتين.

لكن عينيه في هذه اللحظة لم تبدوا دافئتين أو جائعتين، بل راحتا تنظران إليها بلطف واهتمام.

- أظن بأنك تلقيت أخباراً سيئة.

سحبت شارلوت منديلاً من حقيبتها وراحت تجفف أنفها، ثم تمتمت: «بإمكانك أن تقول ذلك».

- اسمعي، لِمَ لا تأتين إلى هنا حيث يمكننا احتساء القهوة سوياً؟

قال ذلك وهو يشير إلى الطاولة المجاورة، ثم أضاف: «أنا عالق هنا بانتظار وصول شقيقتي، ولن أمانع برفقة لطيفة. وأثناء ذلك يمكنك أن تخبريني لما لم يظهر خطيبك».

جعلتها الصدمة تطرف بعينيها، وكرّرت ذلك مرة أخرى قبل أن تقول: «كيف عرفت ذلك، بحق الجحيم؟».

شرح لها الأمر قائلاً: «أخبرتني بنفسك بأنك حسبتني خطيبك، عندما كنا أمام بوابة الوصول. والآن، ها أنت هنا لوحدك تنفجرين بالبكاء. لا يتطلب الأمر الكثير من الذكاء لمعرفته».

قالت وهي تمسح أنفها مرة أخرى: «آه! نعم، نعم».

وسألها: «هل تأجل زواجك مؤقتاً، أم أن خطيبك تخلى عنك؟».

- أخشى بأنه قد تخلى عني نهائياً.

قالت ذلك بسرعة، بينما راح حزنها يتحول إلى حالة من اليأس. كيف يمكن للقدر أن يكون بمثل هذه القسوة؟ ماذا ستقول لوالديها بحق السماء؟

قال لها الأميركي: «بعض الرجال عابثون حقيرون».

كان يمكن لشارلوت أن تشعر ببعض المواساة لو لم تكن تشعر بهول ما حصل لها.

- هيا، فنجان من القهوة سوف يكون مفيداً لك.

لم تكن في حالة تسمح لها بالاعتراض، عندما أمسكها من مرفقها وقادها نحو الطاولة. إلا أن ذلك الجزء من ذاتها، الذي شعر بالإساءة لمرات عدة، أدرك أنه قد يكون لهذا الأميركي هدفاً مضمراً خلف طيبته واهتمامه. لكنها لم تشعر بالقلق لذلك، فهما في مكان عام، وهنا سوف تشعر أنها في مأمن. إذا

كان يرغب بشراء فنجان قهوة لها فليفعل، لأن حالتها لا تسمح لها بالقيادة إلى المنزل على أي حال.

لكن لم تكن لدى شارلوت أي رغبة بإخباره أية تفاصيل شخصية عنها. إنه غريب تماماً عنها، بحق السماء!

مرت الدقائق التالية بضبابية تامة. فقد اكتفت شارلوت بالجلوس وكأنها مصابة بالدوار، بينما طلب لها الأميركي كوباً من الكابوتشينو. وعندما وصل الكابوتشينو بعد وقت قصير من وصول كوب قهوته، أضاف إليه بضع ملاعق من السكر، ثم دفعه باتجاهها قائلاً: «اشربي، فأنت بحاجة إلى كمية من السكر، لأنك في حالة صدمة».

فعلت شارلوت ما نصحها به دانيال، وسرعان ما بدأت تشعر بتحسن نسبي. وأخيراً قالت له: «شكراً لك، أنت على حق، فأنا أحتاج إلى السكر».

- ألن تخبريني بما حدث معك؟

- بحق السماء! لِمَ أنت مهتم بذلك؟

أجابته بحدة صبيانية، وهي تدرك أنه لا يكترث على الإطلاق بألمها الشخصي. ولعله يحاول فقط أن ينعشها قليلاً. أما تصرفه كفارس حاضر للنجدة، تقديمه القهوة، وطرحه لأسئلة مغلفة بالطيبة، فكلّها مجرد مقدمات ليصل إلى ما يريد. إليها هي. لطالما التقت شارلوت بهذا الصنف من الرجال القادمين من بعيد، والذين يبحثون عن رفقة أنثوية أثناء فترة ابتعادهم عن الوطن. لعل لديه زوجة في وطنه، أو حبيبة مقيمة معه، أو على الأقل صديقة. فنادراً ما يكون الرجال المتأنقون مثله دون ارتباط. لم تكن البذلة التي يرتديها بذلة رخيصة الثمن، وكذلك الساعة التي يضعها. بالإضافة إلى خاتمه المكوّن من الذهب والماس.

ابتسم لها، وبدا وميض من البهجة والإعجاب في عينيه، ثم قال: «أرى أنك في طريقك إلى الشفاء، هذا رائع! ستتمكنين من النجاة إذن».

- ذلك يتعلق بما تعنيه كلمة «نجاة».

أجابته بذلك على الفور، ثم أكملت: «سيحضر أهلي بالسيارة إلى سيدني للاقاة خطيبي، وسيصل بقية أفراد العائلة غداً لحضور زفافي. شقيقاتي، عماتي، أعمامي، بنات وأبناء أخواتي وأبناء أعمامي. منذ سنوات وهم يلحّون علي لكي أتزوج. إنهم أبناء الريف، كما تعلم. وأبناء الريف يعتقدون أن المهنة الوحيدة للأنثى هي أن تكون زوجة وأماً، وأخيراً، قاربت من النجاح في نظرهم...».

هدّدت دموعها بالانهمار من جديد، لكنها منعتها بكل شجاعة.

وأصرّ دانيال قائلاً: «أخبريني بما حدث لخطيبك».

حملقت فيه طويلاً، وهي تتساءل ما إذا كانت مخطئة بشأ نواياه. فعيناه المعبرتان ظهرتا متعاطفتين بصدق معها هذه المرة.

- ليس هناك الكثير لأخبرك به.

هزت كتفيها وكأنها تشعر بالتعب، ثم أكملت: «لن يأتي، وحفلة الزفاف قد ألغيت. هذه هي نهاية القصة».

ومرة أخرى اضطرت إلى سحب منديل جديد، فالتعاطف يؤثر بها كثيراً عندما تكون متزعجة.

انشغلت لبعض الوقت بتجفيف عينيها، ولم يضغط عليها دانيال لتكمل حديثها. إلا أنها تمكنت، هذه المرة، من استجماع نفسها مرة أخرى بسرعة. جلست في مقعدها بصمت مطبق رهيب، وراحت ترتشف قهوتها بين الحين والآخر. وفجأة، شعرت بدافع قوي لتنفس عن مشاعرها. ما الذي يمنعها من ذلك؟ فالرجل الذي يجلس أمامها رجل غريب. هذا ما اقنعت نفسها به بينما راح الغضب يغلي في داخلها. لعلّ كونه غريباً هو أفضل بالنسبة إليها من أن يكون صديقاً، فمعظم أصدقائها أصابهم السأم والتعب من سماع قصص خيباتها العاطفية.

في النهاية قالت: «كانت لويزا على حق».

تراقص فنجان القهوة في يدها وهي تضعه على صحنه، وأكملت: «لم يكن يحبني فعلاً».

- ومن هي لويزا هذه؟

- إنها صديقتي المفضلة، وشريكتي في الشقة.

- أفترض أنها هي من كانت تتكلم معك عبر الهاتف منذ قليل.

يا إلهي! يبدو أنه رجل شديد الانتباه.

أومأت شارلوت موافقة، وقالت موضحة: «يبدو أن غاري اتصل بي هاتفياً الليلة الماضية، وترك لي رسالة يقول فيها بأنه لن يكون على متن الطائرة، لكنه سوف يبعث لي رسالة الكترونية مطولة يشرح فيها كل شيء. لكننا تأخرنا بالعودة إلى المنزل، ولم نلقِ نظرة على المجيب الآلي. وبعد أن تركت المنزل هذا الصباح، لاحظت لويزا وجود هذه الرسالة على الآلة، فاتصلت بغاري لتستوضح ما جرى لكنه لم يرد عليها. وأفترض أن الوقت عندهم الآن هو منتصف الليل. وهكذا، اتصلت بي، فطلبت منها أن تلقي نظرة على الرسالة الإلكترونية التي بعثها».

- غاري! إذن هذا هو اسم خطيبك المفقود. كنت أتساءل عنه.

- اسمه غاري كانترال، وهو ليس مفقوداً.

صرّت شارلوت بأسنانها بمرارة، وأضافت: «إنه في لوس أنجلوس مع مساعدته الشخصية، التي اكتشفت بطريقة ما، وياعجوبة، بأنها حامل بطفله، في اليوم الذي كان يفترض به أن يسافر إلى هنا لكي يتزوجني أنا!».

- آه.

- نعم، آه.

- وكم مضى من الوقت منذ افتراقك عن غاري؟

- لم أره منذ حزيران الماضي.

- إنها ثمانية أشهر، إذن!

حملت نبرة صوته المصدومة رسالة لم تخف عليها. فثمانية أشهر هي فترة طويلة جداً لترك رجل بمفرده. هذا في رأيه طبعاً!

ردّت شارلوت بحدّة: «لكنني كنت مخلصة له».

- لا شك بأن ذلك جدير بالثناء. لكن الرجال لا يتمتعون بسمعة طيبة في ما يخص إخلاصهم لخطيباتهم أو زوجاتهم، لا سيّما عندما يكونون في أماكن بعيدة، ولمدة طويلة من الزمن كهذه.

- أخبرني شيئاً جديداً.

- لِمَ افترقتما لهذا الوقت الطويل؟

تنهدت شارلوت، ثم أعطته ملخصاً عن قصة غرامها مع غاري، وتخطيطها السرّي لإقامة حفل زفاف تقليدي في أحد أفخم فنادق سيدني. إلى أن قالت: «كونك أميركياً، أفترض بأنك لا تعرف ريجنسي رويال».

- هذا الاسم ليس غريباً عني.

- إنه أحد أفخم فنادق سيدني، كل ما فيه مكلف جداً. أفترض أن بإمكاني إلغاء حجز الجناح لليلة الزفاف، لكن حفل الزفاف هو عقد مبرم. أتعرف أحداً يحتاج إلى كعكة زفاف بثلاث طبقات وفستان عرس من تصميم مصمم أزياء محترف؟ هذا دون ذكر عطلة مدفوعة سلفاً لمدة خمسة عشر يوماً في وادي هنتر.

لم يكن والدها وحده من هدر مبلغاً كبيراً من المال!

- لا أعرف أحداً يحتاج إلى ذلك الآن. ربما أمكنك نشر إعلان على شبكة الإنترنت، إذ يبدو أنك قادرة على بيع أي شيء عبرها.

تأوهت شارلوت، ثم قالت: «لا تحدثني عن الإنترنت».

- أحاول أن أكون عملياً.

- أعرف بماذا تفكر.

- إذن، بماذا أفكر؟

- إن العلاقة الغرامية عبر الإنترنت هي عبارة عن تخيلات يقوم بها الفريقان المعنيان لا أكثر. وهي ليست حقيقية، كما أن حبنا ليس حقيقياً.

قال دانيال: «هذا هو الرأي الشائع في هذا الموضوع».

- ربما كان هذا هو الوضع بالنسبة إلى غاري، لكن ليس بالنسبة لي، فقد أحببته.

وعاودتها نوبة البكاء قبل أن تضيف: «كان يفترض بنا أن نتزوج غداً».

حتى عندما تحدثت شارلوت عن عمق وصدق حبها لغاري، ساورتها شكوك بوجود تخيلات رومنسية تشوب علاقتهما، بالإضافة إلى مسحة من اليأس من جانبها.

على أي حال، ربما كان عدم الزواج من غاري في صالحها. لكن هذا لم يخفف من شعورها باليأس وخيبة الأمل، ولم يجعلها أخف وطأة عليها.

- سيكون يوم غد أسوأ يوم في حياتي، وأكثر يوم أشعر فيه بالمهانة.

أعلنت ذلك بتكشيرة ألم، ثم تابعت: «في الواقع، لا. قد يكون هذا الشرف من نصيب هذا اليوم، لأنه يفترض بي أن أتناول الغداء مع والديّ اليوم، كي أعرفهما على خطيبي. آه، أنا مستعدة للقيام بأي شيء كي لا أخبر والدي بأن الزواج قد ألغي. فقد أنفق مبالغ طائلة على هذا الزفاف، وهو ليس بذلك الرجل الثري، إنه مزارع بسيط. بالطبع، سوف أعيد إليه ماله في المستقبل، لكن ذلك سيستغرق سنوات عديدة من عملي في صالون التزيين».

ليتها لم تشترِ تلك السيارة الجديدة في العام الماضي، أو أنها لم تدفع مسبقاً من أجل تلك العطلة السخيفة. فحساب توفيرها أصبح في الحضيض إذا ما أخذت بالاعتبار الدين المترتب عليها جراء بطاقة الاعتماد.

ارتشفت شارلوت ما تبقى من قهوتها بعد أن تنهدت، وهي تشعر بانقباض في قلبها إلى حد لم تشعر به قبل اليوم.

- أترغبين بتناول العشاء معي هذه الليلة؟

رفعت رأسها، واتسعت عيناها الزرقاوان: «هل تتكلم بجدية؟».

سألته ذلك غير مصدقة ما تسمعه، ثم تابعت: «ألم تكن تصغي إلي؟ تخلى عني خطيبي وقلبي مكسور، وآخر شيء أرغب به هو الخروج مع شاب أميركي وسيم وبارع في الكلام جاء يمضي عطلته هنا، وهو مستعد لكي يقول ويفعل أي شيء ليضمن وجود فتاة في سريره».

أعلمها ببرود ظاهر: «في الحقيقة، لست أميركياً. إنني أوسترالي».

- ماذا؟

- أعلم بأنني أبدو كأميركي، وذلك لأنني عشت وعملت في لوس أنجلوس لسنوات عديدة، لكنني ولدت في سيدني. كانت أمي قد تزوجت برجل أميركي، وأخذتنا إلى هناك عندما كنت طفلاً صغيراً. أما أختي بيث فقد ولدت في الولايات المتحدة؛ لكن كلينا تلقينا العلم في أوسترالیا. بقيت بيث هنا منذ ذلك الحين، وهي الآن سعيدة بزواجها من طبيب في سيدني. ها هي قد وصلت. اذكري الذئب وحضّري العصا!

رفعت شارلوت بصرها لترى سيدة في أواخر أيام حملها، تتقدم بتثاقل نحوهما. لم تكن ملامحها تختلف عن ملامح أخيها، فهي طويلة القامة ملفتة للأنظار، وعيناها سوداوان كشعرها تماماً. خمنت شارلوت أن المرأة في الثلاثين من عمرها، أما أخوها فيكبرها بسنوات قليلة.

بادرته بيث بلهجة أوسترالية واثقة، قبل أن تنتقل بعينيها الضاحكتين نحو شارلوت: «أرى بأنك لم تتغير يا أخي العزيز. ما إن تتركه لأكثر من دقيقة حتى يصوّب سهامه باتجاه أجمل فتاة، وإن كانت على بعد كيلومترات. لكن، احذري عزيزتي، فهو من النوع الذي يحب الفتيات ثم يتركهن».

قال شقيقها بجفاء: «شكراً على توصيتك بي يا أختي العزيزة».

ثم نهض ليقبل شقيقته على خدها، وأضاف: «كنت أود أن أعرفكما على

بعضكما البعض لو أنني أعرف اسم السيدة، لكنها نسيت أن تذكره لي».

فكرت شارلوت بأن هذه هي الفرصة المناسبة للهرب، قبل أن تقدم على شيء سخيف كإخباره عن اسمها أو الموافقة على دعوته إلى العشاء هذه الليلة. يكفيها ما عانته من ذلك النوع الذي يحب الفتيات ثم يتركهن.

هبت واقفة بعد أن علقت حقيبتها على كتفها. ثم رمته بابتسامة هشة قائلة: «شكراً على القهوة، لكن يتعيّن عليّ الذهاب».

وسرعان ما اتجهت نحو مخرج القاعة وهي تخطو بأسرع ما يمكّنها من ذلك حذاؤها ذو الكعبين المرتفعين المفتوح من الخلف.

لكن، كان عليها أن تدرك بأنه لن يدعها تذهب هكذا بسهولة.

- انتظري!

ناداها دانيال وهو يسرع خلفها: «لا تهتمي بما قالته أختي، إنها تمزح فقط».

توقفت شارلوت، ورمته بنظرة ساخرة: «هل تقول بأنك لست من النوع الذي يحب الفتيات ثم يتركهن؟».

ولاحظت ملامح الشعور بالذنب في عينيه قبل أن يتمكن من إخفائه. فقالت له وهي تتابع تحركها: «حسناً».

- أخبريني عن اسمك على الأقل.

توقفت مرة أخرى لتحدق في وجهه الوسيم. ويا للغلطة الفظيعة!

عادت عيناه من جديد دافئتين وجائعتين.

فجأة، أحسّت بدافع قوي كي تخبره عن اسمها ورقم هاتفها. أرادت أن تقول له: نعم، سأرافقك إلى العشاء. لكن القيام بذلك ليس سوى ضرباً من الجنون. إن الوقت قد حان، وقد بلغت الثالثة والثلاثين من عمرها، لتتوقف عن الحماقة عندما يتعلق الأمر بالرجال.

- أنا.. أنا، لا أعتقد ذلك.

قالت ذلك بنبرة ينقصها الاقتناع.

سرعان ما أخرج دانيال من جيبه بطاقته المهنية، وراح يكتب عليها شيئاً ما وهو يقول: «الأرقام الظاهرة هنا لا تعني شيئاً عندما أكون هنا، ولكني سأكتب رقم هاتفي النقال على ظاهر البطاقة. بإمكانك أيضاً أن تتصلي بي إلى منزل شقيقتي واسمها بيث هارفي، وهي زوجة الدكتور فنسنت هارفي. زوجها جراح عظام، وهم يعيشون في روزباي، وسأمكث معهم خلال الأسبوعين القادمين. رقمهما موجود في دليل الهاتف. اتصلي بي إذا غيّرت رأيك».

ثم وضع البطاقة في يدها قائلاً: «أنت متوترة الآن، لكنك تعرفين، كما أعرف أنا، بأنك لم تحبي ذلك المدعو غاري».

التقت عيونهما مرة أخرى، وشعرت شارلوت بخدر في حواسها.

قالت بصوت متقطع: «ماذا تعني؟».

- تعرفين ماذا أعني يا جميلتي.

فتحت شارلوت فمها كي تنفي معرفتها بما يعنيه، لكنها لم تستطع قول أي شيء؛ لأنها، في الواقع، تعرف ما يعنيه تماماً. كيف تستطيع القول بأنها واقعة في حب غاري، في الوقت الذي يستطيع هذا الرجل أن يشعرها بأنوثتها أكثر مما يفعله أي رجل آخر؟

راح قلبها ينبض بقوة، وسرت الحرارة في بشرتها كأنها وضعت في مشواة.

نظرت إلى البطاقة التي أعطاها إياها دانيال بدافع الفضول أو ربما، في الحقيقة، هرباً من نظرات عينيه المغريتين اللتين تفقدانها صوابها.

اسمه دانيال بانيستر، وهو محام من لوس أنجلوس.

ضحكت شارلوت، إذ لم تستطع منع نفسها من ذلك. يا لسخرية القدر!

فسألها: «ما المضحك في الأمر؟».

تطلعت نحوه وتعابير السخرية تعلو وجهها: «كان غاري من لوس أنجلوس

أيضاً. أظن بأنني نلت ما يكفيني من محامي لوس انجلوس. ألا تظن ذلك؟».

وما لبثت أن أعادت البطاقة إلى كف دانيال، ثم اندفعت بكعبيها المرتفعين بسرعة مبتعدة عنه.

www.elromancia.com

٤ - لعبة القدر

قالت بيث لشقيقها معتذرة: «اسمع، أنا آسفة حقاً. فأنا لم أقصد الإساءة إليك إطلاقاً. كما أنني لم أكذب، فأنت فعلاً من النوع الذي يعشق الفتيات ثم يتركهن وحيدات. أليس هذا ما تخبرني به على الدوام؟».

بالكاد تفوه شقيقها بكلمة وهما في طريقهما من المطار، وحتى بعد انقضاء ساعتين على وصولهما إلى المنزل. فما إن وصلا إلى المنزل حتى صعد دانيال إلى جناح الضيوف، حيث أخذ حماماً وبدّل ملابسه، ثم اتجه إلى الشرفة الخلفية وراح يقرأ جريدة الصباح إلى أن أتى على أخبارها بأكملها في صمت بارد ثقيل.

عند عودتهما، كان فينس قد غادر المنزل لإجراء عملية جراحية، وهو لن يعود قبل السابعة من هذا المساء على الأقل. لذلك كان على بيث أن تقوم بتسلية «السيد النكد» طيلة النهار، ولم يكن ذلك مسلياً على الإطلاق بالنسبة إليها. شعرت بالامتنان لأن لديها موعداً مع طبيبها النسائي في وقت لاحق.

في هذه الأثناء، لم تستطع مسامحة شقيقها على عبوسه المستمر.

- أرجوك، دانيال. ماذا كنت تتوقع، على أي حال؟

قالت له ذلك عندما لم يستجب لاعتذارها، ثم أكملت: «هل توقعت من الفتاة أن تقفز من بين ذراعي خطيبها إلى ذراعيك خلال بضعة دقائق فقط؟ لست ذلك الرجل الذي لا يمكن مقاومته».

وبينما كانت تستعد للجلوس بحذر على أحد المقاعد، تذكرت بأن الفتيات كن يعتبرن دانيال شخصاً لا يقاوم وذلك منذ أيام المدرسة. وها هو الآن أصبح أكثر وسامة ورجولة، فقد غدت كتفاه ممتلئتين وصدره عريضاً، أما شعره فما

زال كثيفاً لامعاً، بل أصبح مصففاً بطريقة أفضل هذه الأيام. وغدت ملامحه أكثر حدّة وقوة. بالطبع، ظهرت بضعة خطوط عند زاويتي عينيه، إلا أنها لم تقلّل من جاذبية نظراته. كما أن وجهه بات أكثر حيوية وعيناه السوداوان العميقتان توحيان بالكثير من الذكاء، الأمر الذي تجده النساء غامضاً ومثيراً.

انفجرت قائلة بغضب: «ما مشكلتك دانيال بانيستر؟ هل اعتدت على الحصول دوماً على مبتغاك من النساء اللواتي يرقن لك؟».

أدرك دانيال أن بيث على حق، إلا أن إدراكه لذلك لم يسهل عليه التأقلم مع فشله هذا الصباح. ولم يستطع أن يفتر سبب انزعاجه.

- بكل بساطة، أنا لم أستطع نسيانها.

وفوجئ هو نفسه بكلامه هذا، عندما أيقن أنه صرّح باعترافه بصوت مرتفع.

ظهرت الدهشة على وجه بيث، وقالت: «لكنك لم تتحدث إليها سوى لدقائق معدودة».

- أعرف ذلك.

- وفوق ذلك كله، فهي شقراء.

ابتسم دانيال ابتسامة ساخرة: «نعم، أعرف هذا. لكنني أحببتها حقاً. إنها حلوة».

ضحكت بيث وقالت: «تقصد مثيرة!».

- لكن، ليس بطريقة فاضحة.

- أوه، هيا.

عبس دانيال قليلاً. نعم، إنها مثيرة. وهو يود الحصول عليها بأي ثمن. فمنذ ابتعادها عنه وعن حياته هذا الصباح، لم يستطع التوقف عن التفكير بها. وأعلن قائلاً: «عليّ أن أجدها».

- كيف ذلك، وأنت لا تعرف حتى اسمها؟

- أعرف بأنها حجزت قاعة استقبال في فندق ريجنسي رويال غداً. أستطيع الحصول على اسمها ورقم هاتفها من هناك.

- لن يعطوك إياهما.

أومأ دانيال بتصميم: «أوه. بل سيفعلون».

تنهدت بيث، فدانيال محق بذلك. لربما سيعطونه ما يريده. إنه يملك موهبة الثرثرة، وبثرثرته تلك، يستطيع اقناع أي شخص بفعل أي شيء.

- قلت إنك ستذهبين إلى المدينة لرؤية طبيبك عند الثانية عشرة، أليس كذلك؟

- نعم.

- وهل تقع عيادته في مكان مجاور لريجنسي رويال؟

- لا تبعد عنه سوى مسافة عشر أو خمس عشرة دقيقة مشياً على الأقدام.

تقع عيادة طبيبها في شارع ماغوير، أما فندق الريجنسي فهو عند أسفل شارع روكس.

- سأذهب إلى هناك بينما تكونين أنت في العيادة. كم من الوقت ستمضين هناك؟

- ربما، ما يقارب الساعة أو الساعتين إذا ما استدعي الطبيب للاشراف على ولادة طفل، وذلك يحصل كثيراً.

- يمكننا البقاء على اتصال عبر الهاتف.

- هل أنت متأكد من صوابية هذه الفكرة، دانيال؟ أعني، أن تلك الفتاة ستكون في حالة مزرية الآن.

- ليست لدي النية بأن أؤذيها، يا أختي. فأنا أنوي أن أتناول طعام العشاء معها فقط. أود أن أعرفها بشكل أفضل.

أغمضت بيث عينيها، إذ لا فائدة من الجدال مع دانيال. وفي الواقع، لم يكن من حاجة لذلك، على الدوام. فما إن يصمم على الحصول على شيء ما، لن يستطيع أحد الوقوف في طريقه.

- سأحجز سيارة أجرة للساعة الحادية عشرة والنصف. فالقيادة داخل المدينة ليست أمراً شيقاً، كما أن إيجاد موقف للسيارة ليس بالأمر السهل.

* * *

ظهرت شارلوت أمام مدخل الريجنسي بعد الظهر بقليل. ومع أنها اتفقت مع والديها على تناول الغداء معهما عند الثانية عشرة والنصف، إلا أنها متأكدة أن والديها المفرطين في الانضباط، واللذين اعتادا على الوصول إلى مواعيدهما باكراً، قد وصلا في وقت مبكر إلى سيدني، ولعلهما الآن ينتظرانها في صالة الانتظار. فكرت بأن تتأخر قليلاً، إلا أنها عادت وقرّرت أن من الأفضل لها أن تفضي إليهما بأخبارها السيئة بأسرع ما يمكن.

منذ رجوعها من المطار، مرت الساعات صعبة عليها، ساعات مليئة بالاتهامات والأسف، وبالكثير من الدموع.

لو كانت لويزا هناك لاستطاعت أن تنفس عن كربها بالتحدث عن خيانة غاري لها. لكن، كان على لويزا أن تذهب إلى العمل، بينما كانت هي في إجازة لمدة أسبوع، بسبب زفافها المفترض يوم غد. وفي الواقع، مرت المرأتان بالقرب من بعضهما البعض في بهو البناية القديمة التي تضم شقتهما، فاحتضنتها لويزا بسرعة قبل أن تحملها على أن تعدها بألاّ تتصل بذلك النذل غاري.

كان من السهل على شارلوت أن تعطيها ذلك الوعد، ومن السهل أن تفي به. فهي لا تتحمل التحدث معه البتة. ذلك عدا اضطرارها إلى الإصغاء إلى الأسباب والاعتذارات التي سيقدمها.

بدا أثر الشقة الفارغة مدمّراً إلى أقصى الحدود، فقد اجتاحتها موجة من الكآبة بعد لحظات من دخولها الشقة.

بدا الصمت مريعاً، بالإضافة إلى صورها مع غاري في المطار. تلك الصور

التي احتفظت بها في مكتبتها الموجودة في الصالة. رمت بالصور في سلة المهملات، ثم القت بنفسها على سريرها وراحت تبكي، وقد امتزج في داخلها الغضب مع اليأس والمرارة المفرطة.

بعد مرور حوالى ساعة من الزمن، تماسكت شارلوت وحضرت لنفسها شيئاً عن طعام الفطور. ثم أرسلت رسالة الكترونية لغاري تخبره برأيها فيه، وتطلب منه ألا يفكر بالاتصال بها مرة أخرى.

مع ذلك، وفي الدقيقة التي أرسلت فيها تلك الرسالة، عادت وانفجرت بالبكاء من جديد.

استعادت رباطة جأشها مرة أخرى، وأجرت بعض المكالمات الهاتفية لإلغاء بعض الترتيبات. منها اتصال مع متجر تأجير الثياب الجاهزة، وآخر مع الكاهن، ومحل الأزهار، وأخيراً الجناح الذي حجزته لقضاء ليلة الزفاف.

عند هذه النقطة، شعرت بالانزعاج الشديد لأنها مضطرة إلى الغاء حفل الاستقبال بأكمله. لذا، قررت أن تقوم بذلك في وقت لاحق من ذلك اليوم. سوف تفعل ذلك شخصياً بعد أن تتحدث إلى والديها. ولعلّها تنجح بإقناع إدارة الفندق بإعادة بعض المال الذي دفعه والدها مسبقاً.

لم يكن من السهل إصلاح الضرر المادي الذي تسببت به نوبات بكائها الثلاث. لكن قطعة الثلج أفلحت في التخفيف من هذا الضرر، بالإضافة إلى القليل من مساحيق التجميل. كما أنها بدّلت ملابسها، لأن الملابس التي ارتدتها في الصباح كانت من أجل لقاء غاري. أما الآن، فقد ارتدت بنطلوناً من اللون الأصفر الشاحب، وقميصاً حمراء اللون ذات كمين يصلان إلى ثلاثة أرباع ساعديها، كما انتعلت حذاء خفيفاً، وحملت حقيبة من القش، بعد أن وضعت القليل من أحمر الشفاه.

سألها موظف المرآب ما إن غادرت سيارها: «هل ستنزلين في الفندق سيدتي؟».

استطاعت شارلوت كبت آهة حين سمعت كلمة «سيدتي». فمنذ متى

أصبحت سيدة ولم تعد آنسة؟ مع ذلك، فقد بدا ذلك الموظف في التاسعة عشرة من العمر. وإذا كان ذلك صحيحاً، كما افترضت، فلا عجب أن تبدو «سيدة» بالنسبة إليه.

بدا كل ذلك محبطاً، لكن الاحباط هو آخر ما تحتاج إليه في هذا اليوم.

ناولته مفاتيح سيارتها الكيا الرمادية اللون، وقالت وهي تتصنّع الابتسام: «لا، سأقابل شخصاً، ونتناول طعام الغداء معاً».

وبعد أن تناولت تذكرة موقف السيارة منه، استدارت واندفعت إلى الداخل من الباب الدوار. حيث ولجت إلى باحة فسيحة تفضي إلى الفندق نفسه.

هذه الباحة هي مصيدة حقيقية للسياح والنزلاء. هذا ما فكرت فيه شارلوت وهي تخطو أمام واجهات العرض التي تكاد تحوي على كل شيء، حيث تباع ملابس من تصميم مصممين مشهورين، ومجوهرات رائعة، كما أنها مصيدة كذلك للعرائس اللواتي يوشكن على الزواج. تذكرت ذلك بحسرة وهي تفكر بالمبلغ الذي انفقته في محل الألبسة الداخلية، آخر مرة زارته. على الفور، انحرفت شارلوت إلى الجهة الأخرى من الباحة. تلك الجهة التي تخلو من أي شيء يثير ذكرياتها الكئيبة، إذ لا يوجد فيها سوى ممرين منفصلين. يفضي الممر الأول إلى مقهى حديث، كانت قد زارته مرة أو مرتين برفقة لويزا، أما الثاني فيؤدي إلى مطعم صغير يقدم الشواء ويدعى «التاڤيرن»، حيث خططت لاصطحاب والديها إلى الغداء. هناك يقدمون وجبات خفيفة ولذيذة، على الطريقة القديمة، وهي وجبات مناسبة لزوجين ريفيين لا يهتمان بتناول الأطباق المذكورة على لائحة الطعام الرسمية، ولطالما قال لها والدها: «أنا لا أحتمل تلك الوجبات الفاخرة».

شعرت شارلوت بالاضطراب عندما فكرت بوالدها، وازداد اضطرابها عندما وصلت إلى نهاية الرواق، حيث أصبحت تسير على السجاد الوثير المفروش في ردهة الفندق بدلاً من الأرض الرخامية كما كانت من قبل. بمجرد

رؤية التصميم الفاخر لـ المكان، تذكرت التكلفة الباهظة لحفل الاستقبال، حتى لو كان لا يضم أكثر من خمسين شخصاً. فكمكة الزفاف وحدها كلفت ثروة!

آه... ليتها أصغت لغاري عندما طلب منها الاكتفاء باحتفال زفاف بسيط. لو أنها فعلت ذلك، لكان ما تزمع القيام به الآن أكثر سهولة. ألا يكفي أن والدها قام بانفاق ذلك المبلغ الطائل، الذي كان يمكنه أن يستفيد منه في أمور أخرى، حتى تأتي الآن وتبلغه بأنها لن تتزوج على الإطلاق؟

لا شك لديها بأن الجفاف الذي استمر لعقد من الزمن لم يتسبب بالضرر لأسرتها بقدر ما تسببت لهم به هذه المشكلة. فالمال الذي انفق على حفل زفافها كان بإمكانه تعويض والدها عن قطيع الماشية الذي اضطر إلى بيعه السنة الماضية. أو كان بإمكانه أن يؤمن له شراء خزان إضافي، أو يدفع له نفقات تلك الرحلة التي ما انفك والدها يتحدثان عنها، والتي لم يتمكنا يوماً من القيام بها.

وفكرت شارلوت أن والديها ظهرا مسنّين في عيد الميلاد الفائت.

جالت بعينيها في أنحاء الصالة باضطراب شديد، لكن والداها لم يكونا هناك. لم يكن المكان مكتظاً في مثل هذا الوقت من اليوم، فهو وقت متأخر للمغادرين ومبكر جداً للوافدين.

لا بالتأكيد، والدها ليسا هنا.

لو أنهما يملكان هاتفاً خليوياً، لتمكنت من الاتصال بهما للتأكد بأنهما لم يضلا طريقهما في المدينة. لكن بالطبع، والديها لم يدخلا القرن الحادي والعشرين بعد، وعلى الأرجح أنهما لن يفعلا ذلك مطلقاً.

جلست على أحد المقاعد الوثيرة المغطاة بالمخمل منتظرة قدوم والديها، في مواجهة مدخل الرواق تماماً، حيث سيدخلان.

كادت ألاّ تتعرف عليه في بادئ الأمر، فلم يكن دانيال مرتدياً الثياب نفسها التي كان يرتديها هذا الصباح. البذلة الرمادية الغالية الثمن قد استبدلت ببنطلون جينز ذي لون أزرق داكن، وقميص رياضية داكنة اللون مطرزة باللون

الأبيض، وقد علّق في أعلى رأسه نظارتيه الشمسيتين. كما انتعل حذاء رياضياً باللونين الأزرق والأبيض.

في طريق عودتها من المطار هذا الصباح، جاهدت شارلوت كثيراً لطرد صورة دانيال بانيستر من رأسها. أما عند وصولها إلى منزلها، فشغلتها أحداث ضاغطة وطارئة. والآن، ها هو يقف أمامها مرة أخرى، بوسامته التي تثير اضطرابها، كما حدث في الصباح تماماً.

بذلت جهداً بالغاً لتتمكن من أخذ نفس بسبب الصدمة التي أصابتها. وعلى الفور، التفت دانيال نحوها. بدا مذهولاً تماماً لرؤيتها، كما بدت هي مذهولة لرؤيته. إلا أنه بدا أكثر سروراً منها.

نعم، نعم، إنه مسرور بالتأكيد!

شعرت شارلوت بظهرها يلتصق بالمقعد، فيما راح هو يقترب منها. ثم فكرت أن من الأجدى لها أن تقف بدل أن تظل جالسة، فهي تشعر بما يكفي من الارتباك لاضطرارها إلى النظر إلى عينيه الرهيبتين من تلك المسافة القريبة.

أثناء اقترابه منها، انتزع نظارتيه الشمسيتين، ثم طواهما ووضعهما في جيب قميصه الأمامي. ولاحظت شارلوت أن فمه يتسع بابتسامة مدهشة، أظهرت أسنانه البيضاء المستقيمة، كما لاحظت وجود غمازة في أحد خديه.

وكأنه لا يمتلك ما يكفي من الجاذبية!

هتف دانيال قائلاً: «لا أصدق هذا! قدمت إلى هنا على أمل الحصول على اسمك ورقم هاتفك من موظفي الفندق، وها أنا أجدك أمامي».

زفرت شارلوت زفرة أخرجت فيها كل ما في صدرها من هواء، عند سماع اعترافه هذا. إذن، هذه ليست مجرد صدفة مدهشة! لقد كان يتعقبها بنشاط.

تصارع الغضب مع الإطراء في داخلها، إلى أن هدأت تماماً في النهاية، وقالت له: «أخبرتك بأنني على موعد مع والديّ لتناول الغداء».

وعلا الاحمرار وجهها مرة أخرى، وتساءلت ما الذي يتميّز به هذا

الرجل، والذي يجعلها تشعر وتتصرف كمراهقة ساذجة أمام مغني البوب المفضل لديها؟

- أحقاً؟ لست أذكر ذلك. لو أنك أخبرتني به حقاً، لتذكرته. لكن، لا تهتمي للأمر، فها أنت هنا الآن. وقد حصلت على فرصتي لإصلاح الانطباع السيء الذي تركته عني أختي هذا الصباح.

أجابته بسرعة: «الأمر، بكل بساطة، هو أنك لا تقبل كلمة «لا» على طلب تقدمه».

ابتسم دانيال قائلاً: «هذا ما قالته لي بيث عندما أخبرتها بأنني يجب أن أجدك. إنها هنا في المدينة، تزور طبيبها. وهكذا توفرت لي الفرصة للانطلاق في مهمة البحث عن هوية السيدة الحلوة التي التقيتها هذا الصباح، والتي لم استطع تحويل فكري عنها، منذ ذلك الحين».

- أنت أكثر إزعاجاً من كل الرجال الذين صادفتهم في حياتي.

أعلنت شارلوت ذلك فيما ازدادت حمرة الخجل فوق وجنتيها. ألا يستطيع هذا الرجل أن يفهم بأن آخر شيء تريده أو تحتاجه اليوم، هو دليل إضافي عن مدى غبائها، حين ظنت أنها في حالة حب مع غاري؟

طريقة تحديق عينيها به بدت مريعة. يا للسماء! إنه فائق الوسامة.

لم تستطع الكف عن التمني لو أن هذا المحامي القادم من لوس أنجلوس هو من التقته عند الشاطئ الذهبي في العام الماضي.

قالت له بنبرة ملؤها القسوة: «لن أرافقك لتناول العشاء الليلة».

أجابها دون أن يرف له جفن: «حسناً، لعلك تتمكنين من مرافقتي غداً، أو بعد غد. سوف أبقى في سيدني لمدة أسبوعين».

- للمرة الثانية أقول: أنت لا تصغي إليّ. قلت لك «لا». والآن أقولها مرة أخرى. لا أريد مرافقتك لتناول العشاء، على الإطلاق.

- أنت لا تعنين ما تقولين.

بل إنها تعني تماماً ما تقول، لكنه لم يفهم قولها.

- وجدت بعض الأشياء كي نقدّرها، وإلاّ فلماذا وضعك القدر هنا كي تكوني في انتظاري؟

تأوهت شارلوت وأجابت: «لست هنا في انتظارك، إنني أنتظر والديّ. إنهما... أوه...».

فجأة قطعت حديثها، وراح رأسها يدور بسبب الجهد الذي بذلته لاستعادة بعض السيطرة على نفسها، وعلى الوضع برمته. ثم أكملت حديثها: «... لقد وصلا».

٥ ـ أحلام ضائعة

استدار دانيال ليرى زوجين ترتسم الملامح الريفية في كل ما يتعلق بهما، وهما يقتربان نحوهما في صالة الانتظار. بدا كلاهما في منتصف العقد السابع من العمر. كانت المرأة ممتلئة الجسم ذات شعر قصير رمادي اللون، أما الرجل فكان نحيلاً أشيب الشعر، يحمل وجهه أثراً للسمرة الناتجة عن مواجهة عوامل الطقس. إلا أن عينيه الزرقاوين بدتا لطيفتين. ويبدو أن كليهما كانا وسيمين تماماً ذات يوم، فملامحهما بدت حسنة، وهما يرتديان بذلتين، مع أنهما لم يبدوا مرتاحين فيهما.

هتفت المرأة وهي تحث الخطى لتطبع قبلة سريعة على وجنة ابنتها: «شارلوت!».

وابتسم دانيال. أخيراً تمكن من معرفة اسمها: شارلوت! يا له من اسم رائع لفتاة رائعة! مع أنها تبدي الكثير من الممانعة، كما يرى، إلا أن الشيء المؤكد هو عدم استعداده لقبول أي رفض من جانبها.

إنه خبير بلغة الجسد، وبالإختلاف في الطباع بين النساء. وهو يدرك أن شارلوت منجذبة نحوه كما هو منجذب نحوها تماماً. لا شك أن علاقتها بذلك الرجل المثير للشفقة، غاري، مجرد أوهام رومنسية لا أكثر، وهي تعرف ذلك دون شك، لقد رأى ذلك مجسداً في عينيها هذا الصباح.

بالطبع، هو يدرك بأنها ما زالت تشعر بالاضطراب. فما من امرأة ترضى بأن يتخلى عنها الرجل، لا سيّما في اليوم الذي يسبق موعد زفافها. بدا واضحاً أنها تحب والديها وأنها لا تريد أن تخيّب آمالهما، أو أن تخبرهما بأنهما انفقا ذلك

المبلغ الكبير من المال على زفاف لن يتم. لا شك أنها سوف تحتاج إلى كثير من المواساة بعد أن تنقل إليهما تلك الأخبار السيئة.

استدارت والدة شارلوت على نحو مفاجئ، وعانقته بحرارة، قبل أن تبعده عنها قليلاً كي تتمكن من تفحّصه جيداً من قمة رأسه حتى أخمص قدميه. ثم هتفت قائلة: «عزيزي غاري! يا إلهي، إنك أكثر وسامة مما تبدو في صورك. بالطبع، فقد كنت تضع نظارتين شمسيتين فلم أتمكن من رؤية عينيك. شارلوت، لم تخبريني أن لغاري مثل هاتين العينين الجميلتين».

تمكّن دانيال من رؤية الصدمة على وجه شارلوت، فقد شعر بالصدمة هو أيضاً. لكن ذلك كان غلطة منطقية من قبل أمها، فشارلوت نفسها سبقتها إليها. وهذا سبب آخر جعله متأكداً بأنها منجذبة إليه. لا بد أنه من النوع الذي تفضله.

أخيراً انفجرت شارلوت قائلة: «الحقيقة يا أمي، إنه ليس...».

وهنا تدخل والدها مصافحاً دانيال بكل حماسة ثم قال: «يا له من رجل وسيم! غداً سيكون أسعد يوم في حياتي، وأنا أرى طفلتي الجميلة تتزوج رجلاً يستحقها. لا أخفي عليك يا غاري، آخر صديق لها كان منحطاً تماماً. لكنها أخيراً فازت برجل حقيقي».

قالت شارلوت وهي تكاد تنتحب: «أبي، بحق السماء!».

- أخبرتني أنه ليس هناك من أسرار بينك وبين غاري، كما قلت لي إنك كلمته عن دواين. هل تعرف بأنه كان يضع حلقاً في أذنه أيضاً؟

وأشار والدها إلى دانيال، بينما كانت تعابير وجهه توحي بألم حقيقي، ثم أضاف: «الرجال الحقيقيون لا يضعون حلقاً في آذانهم».

- بالتأكيد. أنا لا أضع حلقاً.

كان دانيال قد جرب ذلك مرة لكن الأمر لم يعجبه.

- لاحظت ذلك. إنك نوعي المفضل في الرجال يا غاري، أهلاً بك في

عائلتنا.

ثم حرك يده في الهواء مرة أخرى.

عندئذٍ، تمنى دانيال لو أنه كان غاري حقاً. فقد كره في تلك اللحظة أن يخيب آمالهما، كما كانت شارلوت تكره ذلك تماماً.

بدا أنه يتبنى على الفور أي فكرة لامعة تخطر في باله. لا سيّما إذا كانت تصيب عصفورين بحجر واحد. وفي النهاية قال: «إنه لمن دواعي سروري أن التقيك أخيراً يا سيدي، وأنت أيضاً، سيدة...».

اللعنة! إنه لا يعرف اسم الأسرة. وهكذا قال مرتجلاً: «هل تمانعان إذا ناديتكما بابا وماما؟».

- لا، على الاطلاق يا بني.

هكذا قال والداها على التوالي. أما شارلوت، فاكتفت بالتحديق فيه، وهي فاغرة فاها، إلا أنها لم تفعل شيئاً لكشف حقيقة الأمر، ما جعل دانيال يشعر بالدهشة.

تابع والد شارلوت يقول بحماسته البالغة، بعد أن ترك يد دانيال أخيراً: «لطالما أردت صهراً يناديني «بابا». فجون، زوج ابنتي ليزي، يناديني بيتر وبيني؛ أما كيث، زوج أليس، فما زال يناديني السيد والسيدة غايل.

استوعب دانيال هذه المعلومات، كي يرجع إليها في المستقبل.

- غاري!

فوجئ دانيال عندما تكلمت شارلوت أخيراً، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة حلوة، بدت متناقضة مع سخرية الأحداث القائمة، ومع صوتها وهي تتابع: «هل لي أن أكلمك لحظة؟ أمي، أبي، هناك أمر أود مناقشته شخصياً مع غاري، هل تمانعان؟».

أجاب والدها: «حسناً، يا عزيزتي. سنرجع بعد قليل. سنعطيكما فرصة لترتيب أموركما، يا عصفوري الحب».

ما إن ابتعد والداها حتى قالت شارلوت بصوت يشبه الهسهسة: «ماذا تظن نفسك فاعلاً، بحق الجحيم؟».

- أظن بأنني سأتزوجك غداً.

هذا ما ردّ به دانيال، وبصوت مشابه لصوتها. وبدا غير قادر على منع ابتسامة كادت ترتسم على شفتيه.

- لا تكن سخيفاً!

حاول تهدئة روعها، فقال بنبرة هادئة: «انظري، لن يكون ذلك قانونياً، لكنه سيوفر على والديك ألماً كثيراً في هذا اليوم، وفي الغد أيضاً. تبدين منهكة يا شارلوت، غداً ستشعرين أنك أفضل حالاً».

راحت شارلوت تهز رأسها دون توقف، ثم قالت: «إنك مجنون!».

- قطعاً لا! يمكنك قول الكثير من الأشياء عني، لكن الجنون ليس من بينها.

- لا يمكننا النجاح في ذلك.

- بل نستطيع. فأهلك يظنون مسبقاً بأنني غاري وكذلك سيفعل الآخرون.

- لكن لويزا لن تعتقد لك. إنها تعرف بأن غاري لم يحضر.

راح دانيال يفكر من عساها تكون لويزا هذه. بحث جيداً في ثنايا ذاكرته الممتازة، إلى أن استطاع أن يسترجع اسم لويزا من حديثهما هذا الصباح. وقال: «أليس من المفترض أن تكون صديقتك المفضلة؟».

- نعم.

- إذن، أخبريها الحقيقة، واطلبي منها أن تجارينا في ما نحن عازمان عليه.

حاولت شارلوت الاعتراض قائلة: «لكنني... لكنني ألغيت الكثير من الأشياء فعلاً».

- أية أشياء؟

- الكاهن، الأزهار، البدلات المستأجرة، و...

- كلها أشياء يمكننا الاستغناء عنها.

وقرر دانيال أنه يمكن الاستغناء عن الكاهن الحقيقي، وهو سيجد شخصاً آخر ليلعب دور الكاهن. وهو يعرف كمحام أنه بذلك لا يخاطر بأن يتهم بأي اتهام خطير. لعل فينس سيقوم بذلك. وبما أنه طبيب، فربما هو يبحث عن بعض الإثارة، وعلى القليل من اللهو والتسلية.

- لم تلغي حفل الاستقبال بعد، أليس كذلك؟

- لا.

- أين سيجري الاحتفال؟

- هنا، في الفندق.

- إذن، لا مشكلة.

همست وهي تأخذ نفساً عميقاً: «إنك مجنون!».

- أنا مجنون بك يا حلوتي.

رفعت شارلوت بصرها، وحدقت إليه، وهي تشعر بالدهشة لسرعته في ترتيب الأمور، وكيف أنه استغل مسألة الشبه بينه وبين غاري. لكن، في الحقيقة، إنه لا يشبهه كثيراً.

قالت وهي تشعر بالذهول: «لم يسبق لي أن التقيت برجل مثلك. وأنا أراهن أنك لست من النوع الذي يغازل امرأة على الإنترنت ويطلب منها الزواج ثم يختفي بعد ذلك».

- لا، بالتأكيد أنا لا أفعل ذلك. فبالإضافة إلى حساسيتي تجاه الزواج الحقيقي، أنا لا أطيق الإنترنت. بل أنظر إليه كمضيعة للوقت، إن لم يكن ذلك لأسباب تتعلق بالعمل. كما أن الجلوس خلف الكومبيوتر يؤذي العيون.

راحت شارلوت تضحك، ولم تعد تستطيع التوقف عن الضحك. فكل هذا الوضع يبدو غريباً. وفيما هي مستغرقة في الضحك، جذبها دانيال إلى ذراعيه وعانقها. هنا، في هذا المكان، في بهو الفندق، وأمام الجميع.

لقد عانقها الكثيرون خلال سنيها الثلاث والثلاثين، إلا أن عناق هذا الرجل جاء شبيهاً بنظراته إليها في المطار صبيحة هذا اليوم. عناق قوي، عميق يكاد يذهب بالعقل.

التفت ذراعاه بقوة حول خصرها، وراح يشدها نحوه، حتى شعرت بأنها تذوب بين ذراعيه. لم يقتصر الأمر فقط على جسدها، بل شمل عقلها أيضاً. فما إن قربها منه حتى ذابت كل ذرة من إرادتها، وحلت مكانها الرغبة بالاستسلام لعناقه.

أيرغب بالتظاهر بأنه سيتزوجها غداً؟ حسناً.

ويريدها أن تتناول طعام العشاء معه الليلة؟ حسناً.

ويريد أن يعانقها عناقاً لا ينتهي؟ آه، نعم.

سمعت والدها يتنحنح بصوت مرتفع، فأعادها صوته من عالم الأحلام إلى أرض الواقع. ما إن أبعدت نفسها عن ذراعي دانيال حتى استعادت شيئاً من تماسكها. إلا أن حرارة اللهيب الداخلية التي أشعلها فيها ظلت متأججة.

قاومت شارلوت أفكارها كي لا يظهر الاحمرار على وجهها، إلا أن دانيال بدا راضياً جداً عما يراه، فمهمته تكلّلت بالنجاح.

أدركت أنه لم يقم بذلك من أجل إسعاد والديها، أو حتى من أجل إسعادها. إنه يفعل ذلك ليوقعها وفي شراكه أيضاً. وفكرت أنه لم يكن بحاجة لتكبد الكثير من العناء فهي قد وقعت في شراك سحره على أية حال.

قبل أربع وعشرين ساعة ما كانت شارلوت لتصدق أن أحداً سوف يتخلى عنها بهذا الشكل، أما واقع أنها ستقول «نعم» لدانيال في غضون ساعات فقط من لقائها به، فقد كان مفاجئاً لها بقدر ما هو محير.

لِمَ هذا الرجل بالذات؟ هل يعود السبب إلى ملامحه الشبيهة بملامح نجوم السينما؟ أم إلى سحره؟ أم إلى ذكائه؟ أم أن السبب هو قوة الرغبة والإصرار التي يمتلكها، والتي راحت تغريها وتجبرها على موافقته؟

شعرت باحتراق في خديها، ما إن التقت عيونهما، ولم تكن دقات قلبها قد هدأت بعد. إذا كان ذلك هو شعورها بعد عناقهما الأول، فما الذي ستشعر به بعد أن يتزوجا؟

سرت قشعريرة في جسدها. وكاد قلبها يقفز من مكانه عندما طوقت ذراعه خصرها بحميمية بالغة، ثم جذبها نحوه.

ثم تابع دانيال المحادثة قائلاً: «اعترفت شارلوت لي بأنكما نظمتما حفل زفاف أكبر بكثير مما خططنا له في الأساس».

- أجل. حسناً، لم يعجبني أن يكون حفل زفاف ابنتي الصغرى أقل من حفلي زفاف ابنتي الأخريين.

قال والدها ذلك بفخر واضح، ما ذكر شارلوت بسبب قلقها المتزايد على والدها العزيز. سوف تكون مدينة لدانيال إلى الأبد لأنه وفّر عليها ذلك القلق الآن، بغض النظر عن دوافعه الدنيئة.

بالطبع، سيكون محرجاً بالنسبة إليها تفسير أمر سفر زوجها العزيز إلى الولايات المتحدة في وقت لاحق. وسيكون اعترافها بأن زواجهما لم يكن ناجحاً أكثر إحراجاً. لكن، لتترك كل ذلك إلى حينه، وسوف تحل كل مشكلة عند وقوعها.

أما في الوقت الحاضر، فكل ما يهمها هو أن والدها ووالدتها يبتسمان بسرور.

وسألها والدها: «أتظنين أن بإمكاننا الذهاب الآن إلى المطعم يا ابنتي؟ فنحن لم نتناول شيئاً منذ الفطور».

سارع دانيال إلى القول وهو يوجه نظرة ذات معنى نحو شارلوت: «وأنا

أيضاً أشعر بالجوع».

لا شك أن هذا الرجل خطير!

لا مفر لها من أن تحبه، وأن تريده. لا بد أنه ترك أثراً لا يستهان به بين سيدات لوس أنجلوس، في السنوات القليلة الماضية. وأيقنت شارلوت أن ما ينضح منه من جاذبية ورجولة وأخلاق كريمة، هو مزيج جذاب لكنه فتّاك أيضاً.

ظهر العبوس على وجه والدها ثم قال: «آمل ألا نجد أنفسنا في مكان من تلك الأماكن التي يجعلون المرء ينتظر طويلاً قبل أن يقدموا له الطعام».

وافقه دانيال: «معك حق. أنا أيضاً أكره الانتظار عندما أكون جائعاً».

رفعت شارلوت حاجبها مظهرة له أنها مدركة تماماً لذلك الدور المزدوج الذي يلعبه. ثم رمقته بنظرة ساخرة، قبل أن تتوجه إلى والدها قائلة: «كنت أعرف بأنك ستقول ذلك. لا تقلق يا أبي، فالمطعم لا يبعد كثيراً من هنا».

أومأت أمها لها، مبدية سرورها، ما أعطى شارلوت نفحة حقيقية من التفاؤل. فهي ليست معتادة على رضا أمها عنها، على العكس من شقيقتيها الأكبر سناً اللتين كانتا منسجمتين أكثر مع أمهما، كما أنهما كانتا مجتهدتين في دراستهما. وقد تزوجت كلتاهما من صديقي طفولتيهما، وهما ابني مزارعين محليين، وانجبتا منهما أولاداً.

أما شارلوت، فلم تنهِ دراستها، ولم تتقن الطبخ أبداً أو كل ما يتعلق بشؤون الخياطة. كما كانت دوماً تنسى المواعيد الهامة. حتى إنها لم تتمكن من إيجاد زوج ملائم، وذلك حتى وقت قريب.

عندما كانت طفلة صغيرة، وُصِفت شارلوت بأنها ابنة صعبة، وحالمة. حتى إنها سمعت أمه تقول ذات يوم لعمتها غلاديس: «رأسها دائماً في السماء، ولا أدري ما الذي يمكنها تحقيقه في هذه الحياة».

أما الأمر الذي استطاعت تحقيقه فهو رحيلها إلى المدينة بعد مضي شهرين

من عيد مولدها السادس عشر. وكانت قد قدمت طلباً للاشتراك في دورة تزيين شعر في صالون تزيين معروف، وذلك بصورة سرية، بعد أن قرأت إعلاناً عن ذلك في جريدة «سيدني مورننغ هيرالد». حينها، لم يستطع والداها المذهولان إعادتها إلى المنزل بالقوة، أو إرغامها على متابعة دراستها للحصول على الشهادة الرسمية، ذلك لأنها غدت قادرة على إعالة نفسها بنفسها. في النهاية توقف الوالدان عن محاولة إقناعها بأنها ما زال صغيرة جداً كي تعيش بمفردها في المدينة، بعيداً عن المنزل.

في الواقع، كل ما يتعلق بها كان يشير إلى أن مهنة التزيين ليست إلا وسيلة لبلوغ غاية. إذ أن أمنيتها هي أن ترى ما تستطيع الحياة أن تقدمه لها خارج حياة المزرعة، وبعيداً عن أبناء الريف. فسيدني، بالنسبة إليها، هي المكان الذي سيسمح لها بالانفتاح على العالم. إلا أن الحياة في المدينة، سرعان ما غدت قيداً ثقيلاً. وهكذا، ما إن أنهت شارلوت دورتها التدريبية حتى تنقلت في سلسلة من الوظائف على متن سفن جابت العالم بأكمله.

أثناء السنوات القليلة التالية، عملت شارلوت معظم الوقت في بلدان آسيوية، كما ذهبت إلى جنوب المحيط الهادئ، وعملت في بعض الجزر الاستوائية. وتولت ذات مرة وظيفة محدودة في أحد الفنادق الضخمة في لندن، لكنه وجدت أن الطقس هناك لا يناسبها، كما وجدت نفسها تعاني من الاشتياق للوطن، وفاجأها ذلك كثيراً.

وهكذا، عادت شارلوت إلى أوستراليا قبل بلوغها الثلاثين من عمرها بفترة قصيرة. يومها، قضت عدة أسابيع رائعة بين أهلها في المزرعة قبل أن تدرك، وعلى مضض هذه المرة، بأن حياة الريف لم تخلق لها. واكتشفت أن ما تحن إليه في الواقع هو حياة أكثر استقراراً. فهي تريد تأسيس حياة خاصة بها، تريد أن تتزوج وتنجب أطفالاً، ولعلها ترغب بأن يكون لديها منزل مع حديقة خاصة به.

امتلأ خيال شارلوت بمثل هذه الأفكار. ها هي الفتاة الغارقة في الأحلام

تتمنى ما تتمناه معظم الفتيات في العالم. هذا مدهش حقاً!

مضت في سعيها لتحقيق ما أرادته بحماسة كبيرة، فلا أحد يمكنه أن يثنيها عن تحقيق أهدافها. عادت إلى سيدني، ووجدت وظيفة لنفسها وشقة. ثم مضت قدماً في ما تفعله الفتيات في مثل سنها، وذلك بالبحث عن الرجل المناسب. تمكنت من عقد صداقات مع كل الفتيات العازبات اللواتي عملت معهن، إذ شعرت أن ذلك أمر ضروري. فراحت ترافقهن إلى النوادي والمطاعم والحفلات مساء أيام الجمعة، وراحت تبتسم في وجه كل شاب وسيم تراه. والأهم من ذلك هو أنها انضمت إلى ناد رياضي.

في ذلك النادي الرياضي، التقت بدواين، وكان هو أحد مدربيها. أعلن لها دواين عن إعجابه بها، وبدءا بالتواعد بعد أسبوعين فقط، وبعد أربعة أسابيع أفصح لها أنه يحبها، وأعلنا خطوبتهما بعد ستة أسابيع.

استمرت خطوبتهما لسنتين، وبدا لها أن دواين ليس مستعداً بعد للزواج وانجاب الأولاد، فقد كان في الثامنة والعشرين من عمره فقط. ومع أنه لم يرفض مبدأ الزواج إلا أنه راح يماطلها، كما قلت أحاديثه معها، وتقلصت لقاءاتهما العاطفية، كما بدأ دواين يعمل في الليل ويتغيب لأيام طويلة.

ما كان عليها أن تشعر بالدهشة عندما قام باستبدالها بفتاة أخرى. لكن ما أدهشها هو زواجه السريع من صديقته الجديدة التي حملت منه.

استغرقت شارلوت في التفكير بتلك الخديعة التي تعرضت لها في النادي الرياضي، ولم تستطع التوقف عن التفكير بأن الجواب لا يكمن في شعر الفتاة الأشقر بل في خبرتها في التعامل مع الرجال.

انتشلها صوت أمها من ذكرياتها وأعادها بقوة إلى الحاضر، حين سألتها: «شارلوت، أهذا هو المكان الذي كنت تتحدثين عنه؟».

استمر شرودها للحظة أو أكثر، قبل أن تكتشف أنهم يقفون في مدخل المطعم. لا شك أنها استطاعت الوصول إلى هنا بفضل رادارها الآلي، بينما

كانت غارقة في أحلامها.

- نعم، نعم، إنه هو. آسفة، كنت شاردة الذهن كالعادة.

علت الابتسامة وجه والدتها وقالت لها بتسامح: «لا بأس يا ابنتي إذا ما استغرقت الفتاة بالأحلام قبل يوم واحد من زفافها، فهذا أمر عادي. معظم العرائس يشعرن بالتوتر».

ضحك والدها قائلا: «متوترة؟ عزيزتنا شارلوت تشعر بالتوتر؟ لا بأس إن كنت تشعرين ببعض الاضطراب في هذا اليوم».

نظرت شارلوت إلى عيني دانيال السوداوين اللتين تلتمعان وهما تنظران إليها. ثم قالت باعتراف ضمني واضح: «إنها مجرد لحظات من الشرود. تعالوا، لندخل إلى هذا المكان لتناول الطعام».

تأبطت ذراع والدتها وقادتها إلى الداخل، ثم تبعها دانيال ووالدها وهما يتحدثان كأنهما يعرفان بعضهما منذ زمن طويل.

طلب دانيال ووالدها شرائح اللحم المتوسطة النضوج، أما والدتها فأمضت عدة دقائق وهي تستعرض الخيارات المعروضة أمامها، إلى أن قالت لها شارلوت: «أمي، هل قررت ما الذي ستطلبينه؟».

لطالما لاحظت أن الرجال هم الأسرع من النساء في اتخاذ القرارات المتعلقة بالطعام. أما هي فلم تكن تشعر بالميل إلى الطعام مطلقاً، ومردّ ذلك إلى الإجهاد الذي تشعر به، والذي يكبح شهيتها. وهذا ما تفعله بها الدهشة أيضاً.

وهي الآن تحت وطأة هذين العاملين معاً، وفي الوقت نفسه.

خلال هذا الوقت قام والدها بحجز طاولة طويلة بين مقعدين، محاذية لواجهة زجاجية واسعة تطل على أحد شوارع المدينة في الخارج.

في نهاية الأمر، طلب شارلوت ووالدتها الأطعمة نفسها التي طلبها الرجلان، إلاّ إنهما اختارتا قطعاً أصغر حجماً وأكثر نضجاً. وصلت المشروبات فور وصولهم إلى الطاولة. ارتشفت شارلوت رشفة من كوبها،

عندما سمعت رنين هاتف خليوي.

أدركت على الفور أنه ليس هاتفها، فالنغمة بدت مختلفة.

إنه هاتف دانيال!

www.elromancia.com

٦ - لا، لشهر العسل

قال دانيال: «استميحكم عذراً».

سحب هاتفه الخليوي من جيبه الخلفي، وفتحه، ثم قربه إلى أذنه.

لكزته شارلوت لكزة خفيفة لتذكره بأنه من الأفضل أن يكون حريصاً في أقواله.

قال بحذر: «مرحباً».

- أنا بيث. أخيراً، انتهيت من الطبيب، وكل شيء بخير. لكن وزني قد ازداد كيلو غراماً آخر. والآن، أين أنت؟ وكيف تجري الأمور معك؟ هل استطعت اكتشاف اسمها؟

تمنى أن تكون الكلمات التي سينطق بها كافية كي تقنع شقيقته باللجوء إلى الصمت، قبل أن يقول: «إني أتناول الغداء مع شارلوت ووالديها في هذه الأثناء».

وكان محقاً، لأن أخته التزمت الصمت تماماً. ما جعله يضيف بسرعة: «لا تقلقي بشأني. سأستقل سيارة أجرة إلى منزلك عندما انتهي، لكن ذلك قد يستغرق بعض الوقت. هناك بعض الترتيبات التي يتوجب علي القيام بها، كما تعرفين. شكراً لاتصالك على أي حال. أراك لاحقاً، وداعاً».

ما إن قطع دانيال المكالمة حتى أقفل هاتفه، كي لا يضطر إلى تلقي أي مكالمات أخرى قد تكون محرجة، ثم وضعه في جيبه مجدداً، وهو ينوي الاتصال ببيث ما إن تسنح له الفرصة لذلك.

قال بابتسامة مشرقة: «آسف، كان ذلك اتصالاً من السيدة التي سأمكث لديها هذه الليلة، إنها وزوجها من معارف بعض أصدقائي».

سألت بيتي غايل ابنتها: «شارلوت، هل سيحضر هؤلاء الأشخاص حفل الزفاف غداً؟».

- همم...

سارع دانيال يقول موضحاً: «كلا، فهم ليسوا على علم بالأمر، أنا لم أدعهم لأنني ظننت أنه لن يكون حفلاً كبيراً. أتذكرين؟».

أجابه السيد غايل: «لكن ذلك ليس لائقاً. يجب عليك أن تدعوهم. شارلوت، أنا واثق أن بإمكانك تدبر الأمر».

تنهدت شارلوت تنهيدة عميقة، وقالت: «لا أظن ذلك يا أبي، فقد اتفقنا على عدد المدعوين منذ أيام».

آخر شيء ترغب به هو زيادة التكاليف على والدها.

عندئذٍ، تدخل دانيال بسرعة قائلاً: «أرجوكم، لا تكلفوا أنفسكم. وفي الواقع، لا أظن أنهم يستطيعون الحضور».

- حسناً، إن كان هذا ما تريده يا غاري.

أجفلت شارلوت، لأنها كرهت أن يدعوه الجميع غاري! فاسم دانيال هو أجمل بكثير.

أخيراً، وصلت أطباق الطعام. لكن شارلوت اكتفت بتناول الطعام من الطبق أمامها، إذ إن عقلها عاد ليفكر بالأسماء.

دانيال... دانيال بانيستر... السيدة دانيال بانيستر...

سألها دانيال على نحو مفاجئ: «لم تبدأي باتباع نظام غذائي. أليس كذلك، يا عزيزتي؟».

الشهقة الحادة التي صدرت عنها دلّت على الصدمة التي شعرت بها بسبب أفكارها الجنونية. لم تكن صدمتها ناتجة عن مناداته لها «يا عزيزتي»، فهي تعرف

بأنه يمثل دوره فقط. ذلك أنها ليست عزيزة عليه بأي صورة من الصور، كما أنها لا تمت إليه بأي صلة. مع ذلك، فها هي تتخيل أنها ستتزوجه حقاً.

يا إلهي! أتراها تشعر باليأس إلى هذه الدرجة؟ ألم يعلّمها فشلها مع غاري درساً قاسياً؟ ما هذه الأفكار التي تراودها، والتي تشبه القفز من المقلاة إلى النار؟ إذا كانت قد بدأت تتخيل أنها واقعة في حب دانيال، فعلى عقلها أن يفتر لها ذلك. حسناً، إنه بهي الطلعة، ووسيم بشكل كبير، كما أنه يمتلك شخصية قوية، وحيوية كتلك التي تقرأ عنها عادة في الكتب فقط.

وشارلوت لا يساورها أي شك بأنه عاشق بارع. إلا أنه ليس رجلاً مناسباً للحب، أو للالتزام مثلاً. فهو لا يمكن أن يكون أكثر وضوحاً مما فعل حين أخبرها أن لديه حساسية بالنسبة للزواج. كما أن أخته بالذات أعلنت أنه من النوع الذي يوقع الفتيات في غرامه ثم يتركهن.

كان المنطق يدعوها إلى عدم تشييد قصور وهمية بشأن هذا الرجل. فهو بالتأكيد ليس ذلك الفارس الذي يرتدي دروعه اللامعة. وبالطبع، فإن هدفه ليس إنقاذ تلك الآنسة الواقعة في مأزق شديد؛ وإنما هدفه هو، بكل بساطة، إغواؤها.

أدركت أن عليها إبقاء هذه الحقيقة في سلم أولوياتها، خلال الأيام القليلة المقبلة، وإلا فإنها سوف تنتهي إلى ذرف دموع أمرّ من تلك التي ذرفتها بسبب خيانة غاري.

تبرّعت والدة شارلوت بالإجابة عنها: «لم تتعود شارلوت على تناول الطعام عندما تكون متوترة».

جعل جوابها هذا شارلوت تبتسم، ثم وضعت سكينتها وشوكتها على الطاولة، وتناولت رقاقة من البطاطا بأصابعها وراحت تمضغها.

فقال دانيال: «أنا على العكس منها تماماً. يمكنني أن أتناول حصاناً عندما أشعر بالتوتر».

وتناول قطعة لحم كبيرة ليدفعها إلى داخل فمه.

فقالت شارلوت بابتسامة ساخرة: «لا أستطيع أن أتصورك متوتراً على الإطلاق».

أجابها بسرعة: «سوف أفاجئك، إذن!».

كانت شارلوت مستعدة للمراهنة بأنه لم يعانِ يوماً من أزمة ثقة، طوال حياته. بينما أمضت هي معظم سنوات عمرها من دون أن تدري ما الذي تريده من هذه الحياة. أما عندما كانت تظن أنها أدركت هدفها، فكانت حياتها تمر من كارثة إلى أخرى.

انضم والد شارلوت إلى الحديث، فقال: «كل شخص يشعر بالتوتر من وقت إلى آخر. لا شك بأن شدة الحرص تجعل الرجل عصبياً. فأنا نفسي شعرت بالعصبية عندما تزوجت والدتك. وكنت أشعر كذلك في كل مرة كانت تتوقع فيها حدثاً سعيداً. ويمكنني القول بأنني سأشعر بالتوتر مرة أخرى عندما ترزقني أنت وغاري بطفل صغير».

لم تدرِ شارلوت من أين جاءت دموعها تلك، فهي لا تستطيع تفسير ما حدث، وكان لزاماً عليها أن تغادر المكان، لدقيقة أو اثنتين على الأقل.

ألقت بقية رقاقة البطاطا من يدها، ثم وقفت على نحو مفاجئ، وقالت: «آسفة، علي أن أذهب إلى استراحة السيدات».

ذهابها إلى هناك نجح في حل مشكلتها، إذ لم تتوقف دموعها فقط، بل وجدت مناسبة للاتصال بلويزا.

لم يكن صاحب صالون التزيين حيث تعمل لويزا يحبذ أن ترد الموظفات على مكالمات شخصية، لا سيّما أيام الجمعة. لكن الأمر هذه المرة بدا طارئاً. وعندما تأخرت لويزا في الرد عليها، بدأت معدتها بالتقلص.

أجابت لويزا بلهفة: «نعم».

- لويزا، أنا شارلوت. أرجو ألاّ تكوني قد أخبرت أحداً، هذا الصباح، أن غاري لم يصل.

- كلا، لم أفعل، لماذا؟

- حق ولا براد؟

وبراد هو صديق لويزا ورجلها المفضل.

- لم يتسنّ لي الوقت لذلك. كنت سأخبره هذه الليلة، عندما نلتقي مساءً، بعد الانتهاء من العمل.

- الحمد لله! ذلك أن الزفاف سيتم.

- ماذا؟ كيف؟ هل استقل غاري طائرة خاصة في وقت لاحق، أم ماذا؟

أخبرتها شارلوت بما حدث معها بالتفصيل. ثم سارعت تقول لها قبل أن تبدأ بموجة من الاعتراضات: «لا تنطقي بأي كلمة. هذا أمر متتٍ، ولن يوقفني أي شيء تقولينه. لذا أنصحك بأن توفري عليك عناء الكلام».

- حسناً، إنها حياتك، وفوق ذلك كله، يبدو لي أن دانيال هو أكثر جاذبية وإثارة للاهتمام من غاري. ألا تقولين إنه جاء إلى الفندق بحثاً عنك؟ إذن، أفترض بأنه متيم بك، كما أفترض أنه وسيم ما دام يشبه غاري. وذلك لا يعني بأنني أعجبت كثيراً بغاري.

- دانيال يجعل من غاري يبدو كصورة ذابلة.

- آه! إذن، دانيال ليس وحده المتيم. لطالما قلت لك إنك لا تحبين غاري، والعكس صحيح أيضاً.

- نعم، أعلم ذلك، لكن الأمر لا يتعلق بالحب يا لويزا.

- لا تقولي لي بأنك منجذبة إلى سحر هذا الرجل!

لا شك أن لويزا تمتلك القدرة على النفاذ إلى أعماق الأمور، لا سيّما عندما يتعلق الأمر بالعلاقات العاطفية.

- هذا ممكن.

- لا استغرب الأمر، فقد حان دورك أنت أيضاً. اسمعي ستتكلم كثيراً هذه

الليلة؛ أما الآن، فألقيرا تنظر إليّ شزراً، لذلك من الأفضل أن أذهب. سوف تأتين إلى المنزل في وقت لاحق من هذه الليلة، أليس كذلك؟

- نعم بالطبع.

ما إن عادت شارلوت إلى الطاولة، حتى لاقاها دانيال بنظرة مستطلعة. لكنها لم تستطع أن تخبره أي شيء قبل أن ينتهي الغداء، وقبل أن يتوجه والداها إلى غرفتهما في الفندق.

بعد أن فرغ والداها من الطعام، أظهرا رغبتهما بأن يتركا لشأنهما لبقية ذلك اليوم. وكان ذلك من حسن حظها. وبعد أن أغلقت الأبواب خلف والديها، تنهدت شارلوت من التعب.

قال لها دانيال: «تبدين متعبة».

- أنا كذلك فعلاً.

- في هذه الحالة، سوف أتركك تعيشين كما يحلو لك هذه الليلة، إذ من الأفضل لك أن تذهبي إلى المنزل لترتاحي.

ذكرته شارلوت بنبرة لاذعة: «لم أقل أبداً بأنني سوف أتناول طعام العشاء معك الليلة».

- الفتاة التي عانقتني في الصالة تتوق لأن تتناول طعام العشاء معي إذا ما طلبت منها ذلك.

- أنت من عانقني!

- لا تكوني سخيفة! لقد رغبتِ بأن أعانقك، وأستمر في عناقك.

- أنا آسفة جداً. إنك رجل صعب جداً!

- وأنت امرأة لا تقاوَم.

ضحكت وعلّقت قائلة: «لا أظن أن آخر صديقين لي يوافقانك الرأي».

- كانا أحمقين، أما أنا فلا.

– ما دمت تقول ذلك. والآن، لماذا تفعل ما ستفعله غداً من أجلي دانيال؟

سألته ذلك وهي مصممة على جعله يضع أوراقه على الطاولة. ثم أضافت: «بشكل أكثر تحديداً، لماذا لاحقتني بهذه الطريقة؟ أريد الحقيقة، أرجوك. فقد تعبت من الرجال الذين يكذبون عليّ».

هزّ دانيال كتفيه قائلاً: «هنالك أمور تستعصي على التحليل. فعندما رأيتك هذا الصباح، شعرت كأن صاعقة قد ضربتني. ولم يسبق أن انتابني هذا الشعور مطلقاً بسبب امرأة، لا سيّما امرأة شقراء».

شعرت شارلوت بمزيج من الإطراء وخيبة الأمل، وسألته: «ألا تحب الشقراوات؟».

– دعيني أقول بأنهن يثرن فيّ ذكريات سيئة. فبعد أن هجر والدي أمي، كانت كل زوجاته التاليات شقراوات.

– زوجات! كم مرة تزوج والدك؟

– تزوج خمس نساء بمن فيهن والدتي، وهذا حتى الآن. لا عجب في ذلك. فهو ما زال في الخامسة والستين من عمره، لذا فإن لديه الوقت لزيجات أخرى.

المرارة التي ظهرت في صوت دانيال كانت كافية لتفسير حساسيته تجاه الزواج. أما شارلوت، فلا تمتلك ذاكرتها سوى نماذج لأشخاص ناجحين في زواجهم. والديها، عمّاتها وأعمامها، وأخواتها. وهؤلاء كلهم شركاء في زواج سعيد. كما أن الطلاق غير موجود في أسرتها.

فجأة، غمرها إحساس بأن عليها أن تتعرف أكثر على هذا الرجل الذي تزمع غداً على التظاهر بأنها سوف تتزوجه. وفي الواقع، إنها تريد معرفة الكثير عنه.

قالت مقترحة: «ما رأيك بتناول فنجان من القهوة في مكان ما؟ فنحن نحتاج إلى التحدث سوياً».

أطلق دانيال ابتسامة رائعة، وقال: «في الواقع، علينا أن نقوم بأشياء كثيرة

معاً لكنك على حق، فالتحدث هو فكرة جيدة الآن. لكنني أفضل أن نفعل ذلك في مكان عام كي أتمكن من إبعاد يدي عنك. فعناقك أثّر فيّ أشد التأثير، ولو لم أتمكن من أن أشغل نفسي بتناول الطعام، الله أعلم كيف كنت سأتصرف».

وجدت شارلوت نفسها غارقة في الضحك مرة أخرى، وقالت: «إنك رجل شرير، هل تعرف ذلك؟».

* * *

لم يكن دانيال يعرف ذلك عن نفسه. بالتأكيد، كانت له عيوبه؛ لكن، لم يخطر بباله مطلقاً بأنه شرير. ومع ذلك، فقد دفعه تعليقها هذا إلى تحليل مشاعره تجاهها.

هل يتعلق الأمر فقط بالرغبة الجسدية، وهذه الرغبة كانت وراء تصرفاته في هذا اليوم؟ هل سيشارك في هذا الزفاف المزيف آملاً بأن يتمكن من أصطحابها إلى سريره؟

بالتأكيد لا! فهو لن يستطيع القيام بذلك، وبأي طريقة كانت. لكن الطريقة التي استجابت بها لعناقه جعلته يحبها بصدق، لذا سيقدم على ما سيقدم عليه غداً. كما أنه أحب أهلها بصدق أيضاً، فهم ألطف وأطيب عائلة التقاها على الإطلاق. ولم يشأ أن يراهم يتعرضون للإحباط واليأس.

ربما، من الأفضل ألاّ يخبرها بذلك. ربما، من الأفضل أن تظل على اعتقادها بأنه شرير. ويبدو أن هذه الفكرة قد سرّتها، كما أنها أثارت حفيظتها تجاهه. ولعل ذلك كان أمراً صائباً. أما وقوعها في حبه كرد جميل على ما يقوم به، فهذا آخر ما يرغب به.

فدانيال لم يرغب بأن يمضي من حيث وقف غاري، فذلك سيكون قاسياً جداً عليه.

توقع أن تكون شارلوت، في هذه الآونة، ضعيفة جداً، إلا أنها لم تبدُ تلك الفتاة الصغيرة الساذجة. إنها امرأة، وامرأة مثيرة وجميلة أيضاً. لقد مضت

عليها ثمانية أشهر وهي بانتظار رجل لم يظهر الآن، أما هو، فقد أمضى وقتاً طويلاً في وحدته أيضاً.

إنه الوقت المناسب لكليهما ليحظيا ببعض البهجة.

إن إمكانية قضائهما لليلة زفافهما معاً ستبقيه مستيقظاً هذه الليلة. كما أن فكرة الزفاف نفسها استدعت لديه فكرة أخرى، سوف يهتم بها، بالتأكيد، قبل مغادرة الفندق. وسألها: «أين تريدين تناول القهوة؟».

- ما رأيك بالنزول إلى أحد تلك المقاهي المنتشرة على رصيف الميناء؟ يمكنني بعد ذلك اصطحابك إلى متجر الملابس المستأجرة ونحن في طريقنا إلى هناك، فالمكان لا يبعد كثيراً من هنا. علينا استئجار بذلة لك.

- لا داعي لذلك، فأنا أملك بذلة مناسبة.

عبست شارلوت قليلاً، قبل أن تسأله: «ما نوع بذلتك تلك؟».

- إنها سوداء ذات صدرية وقبة من الساتان، مع قميص بيضاء اللون وربطة عنق سوداء. هل تفي بالغرض؟

- تماماً. ها قد وفّرنا على أنفسنا بعض المال، كما وفّرنا جهداً إضافياً. والآن كل ما عليّ القيام به هو الاتصال بمحل الأزهار لأعلمهم بأن الزفاف سوف يتم، كما عليّ أن أبلغ الكاهن.

- يمكنك الاتصال بمحل الأزهار، لكن انسي أمر الكاهن، إذ لا يمكننا عقد زفاف حقيقي، شارلوت. إنها مغامرة كبرى من الناحية القانونية. لدي شخص يمكنه القيام بدور الكاهن. سيقوم صهري بذلك الدور. إن جناح العرائس يبدو لي حقيقياً بما يكفي.

كادت شارلوت تختنق وهي تقول: «جناح العرائس؟».

واشتبكت عيونهما. لكن، بينما اتسعت عينا شارلوت، ضاقت عينا دانيال.

شعر دانيال بالتأثر الفجائي بسبب ردة فعلها. لا بد أنها أدركت بأن كل

شيء سوف ينتهي غداً.

ذكّرها بقوله: «أنت قلت لي بأنك تودين الغاء الحجز».

بدا الارتباك على شارلوت، وقالت: «في الواقع، لم أحجز جناح عرائس، مع أنهم يملكون العديد من تلك الأجنحة في الفندق. لكنها مكلفة جداً، ولا قدرة لي على تحمّل تكاليفها. لذلك قمت بحجز جناح عادي».

- آه، فهمت الآن، حسناً، لا تهتمي بشأن التكلفة بعد الآن، فهذا الجناح سيكون على حسابي، اتصلي أنت بمحل الأزهار، بينما أنتقى أنا أحد هذه الأجنحة، وبعد ذلك نستطيع تناول القهوة معاً. أظن أن نزهة في الهواء الطلق ستجعلنا، نحن الاثنين، نشعر بالارتياح.

* * *

بعد مضي عشر دقائق، كانا في شارع جورج وهما في طريقهما إلى رصيف الميناء. كان النهار يزداد حرارة، لكن ليس إلى درجة الإزعاج. لم تجد شارلوت صعوبة في إعادة حجز الأزهار، كما بدا دانيال راضياً أيضاً.

لم تجرؤ على سؤاله عن الجناح الذي قام بحجزه، كما أنها لم ترغب بالتفكير في ليلة الغد.

عندما توقفا عند زاوية الشارع، بسبب إشارة المرور الحمراء، قال لها مثنياً: «لقد عالجت المسألة بشكل مناسب جداً. لا شك أنك كنت تشعرين بالاضطراب، لكن أحداً لم يلاحظ ذلك. ولا تظني أنني لست من النوع الحساس، وأنني لا أعرف بأن هذا اليوم كان صعباً جداً عليك».

في الواقع، كان يومها صعباً من نواح عدة؛ أمن السهل أن يتخلّى رجل عن فتاة، لتقع في سحر آخر في غضون ساعات قليلة فقط؟

قالت شارلوت بنبرة ملؤها الاعتداد بالنفس: «إنه التدريب».

أخبرته كيف أن خبرتها في العمل علمتها عدم إظهار عواطفها وانفعالاتها على قسمات وجهها. ثم أضافت، بعد أن أضيئت إشارة المرور الخضراء: «مع

أني أخسر هذه الميزة عندما أتعرض للخيانة، خصوصاً عندما أكتشف أن الشخص الذي ظننت أنه يحبني قد أقام علاقة مع امرأة أخرى وأصبحت حاملاً منه. أتصدق أنها ليست المرة الأولى في حياتي؟».

- لا شك بأن ذلك سوء حظ شديد بالنسبة إليك.

- أوافقك الرأي.

وراحت تروي له قصتها الحزينة مع دواين وعندما انتهت من رواية قصتها أعلن دانيال بنبرة واثقة: «يمكن للرجال أن يصبحوا أوغاداً في بعض الأحيان».

حدّقت إليه شارلوت قليلاً ثم ابتسمت قائلة: «أتعلم؟ أنا أيضاً أظن ذلك».

وصلا في هذه الاثناء إلى منطقة الميناء، واقتربا من مقهى في الهواء الطلق. قالت وهما يمشيان جنباً إلى جنب: «أنا أعتبرك مستمعاً مدهشاً، وهذا يضاف إلى صفاتك الإيجابية».

- آه، لقد تدربت على ذلك، فأنا لست مجرد محامٍ متمرس فقط، بل محامٍ متخصص في قضايا الطلاق، وزبائني كلهم من الجنس اللطيف. لذا فأنا أقضي معظم الأوقات وأنا أصغي إلى النساء. أعترف بأنني تعودت الاستماع إلى أخبار الفظائع التي يرتكبها الرجال. وأقول لك بصراحة بأن بعض القصص المرعبة جعلتني أشعر بالخجل لكوني رجلاً.

- لكن، ما سبب توليك القضايا عن النساء فقط؟ لا شك أن الرجال يودون أن تترافع عنهم أحياناً.

- آه، نعم. لكن هذه قصة طويلة.

رفضت شارلوت أن يطرح دانيال الموضوع جانباً، وقالت له بحزم: «عليك أن تخبرني كل شيء أثناء تناولنا القهوة».

لم تكن لدى دانيال أي رغبة في القيام بذلك. إلاّ إنه وجد نفسه يخبرها بكل

التفاصيل الدقيقة حول العلاقات الزوجية لوالده. وذلك في غضون الدقائق العشر الأولى من جلوسهما إلى إحدى الطاولات الجميلة الموضوعة في الهواء الطلق.

قال لها وهو يحرّك السكر في فنجانه: «لم تتعاف أمي أبداً من خيانته لها. وأعتقد بأنني، أنا أيضاً، لم أتعافَ. أما شقيقتي بيث فكانت صغيرة جداً، حتى إنها لم تعرفه لكي تكرهه. فيما شعرت أنا بأنني أكره هذا الرجل لما فعله بنا، ولما يفعله منذ ذلك الوقت. في بداية حياتي المهنية كان هناك رجال بين زبائني، لكنني لم أستطع الترافع عنهم من كل قلبي. شعرت يومها بأنني أترافع عن أبي. وعندما أصبحت شريكاً في المكتب، منذ سنوات عديدة، قررت ألاّ أتحمل المزيد. ومنذ ذلك الحين لم أترافع إلاّ عن النساء فقط».

قالت شارلوت بنبرة متعاطفة: «أفهم شعورك تماماً. ماذا عن والدتك؟ كيف تتعايش مع هذا الواقع؟».

شعر دانيال بضيق في صدره، ثم قال: «توفيت أمي السنة الماضية».

ظهر تعاطف حقيقي في عيني شارلوت، وهتفت: «آه، كم يبدو هذا مريعاً بالنسبة إليك! أنا لا أعرف ماذا سأفعل إذا ما توفيت أمي. لا شك أنني سأشعر بالضياع. لا شك أن هذا ما شعرت به أنت أيضاً. أستطيع رؤية ذلك في وجهك».

أغمض دانيال عينيه لحظة وهو يشعر بالدهشة، فلطالما كان يفاخر بقدرته على إخفاء عواطفه عن العالم الخارجي. لكن، لعله ليس ثابت الجنان كما يعتقد. أو لعلّ شارلوت تتميز بدقة ملاحظة خارقة. وهو قد قرأ ذات مرة بأن من يعملون في تزيين الشعر غالباً ما يميلون إلى التحليل والتعمق في فهم الشخصيات.

تابعت شارلوت قائلة: «إذن، هذا هو سبب مجيئك لزيارة أختك، لأنها الوحيدة التي تفهم مشاعرك».

ومرة أخرى، فوجئ دانيال بدقة ملاحظتها، فهو لم يكن معتاداً على

أشخاص يستطيعون فهم أفكاره بهذه الدقة. وأجابها: «إلى حد ما. لكن لدي دوافعي للمجيء إلى الوطن لبعض الوقت أيضاً. فقد عشت في لوس أنجلوس لسنوات عديدة، إلا أنني اعتبر سيدني موطني الأم. فليس هناك من مكان يشبهها».

راح يتطلع حوله باهتمام. الطاولة التي يجلسان إليها لا تبعد سوى عشرة أمتار عن الميناء. وقد ظهر إلى اليسار جسر الميناء الذي يبدو على شكل علاّقة ثياب. أما إلى اليمين فظهرت دار الأوبرا بكل روعتها وفخامتها، بسطحها الأبيض الذي يشبه شكل الأشرعة، وخلفيتها الرائعة وموقعها المميز في مكان متقدم في الميناء.

- أوافقك تماماً. أعرف ما الذي تعنيه العودة إلى الوطن، فقد عشت في الخارج لسنوات طويلة، لكن في النهاية كل ما أردته هو العودة إلى موطني، أوستراليا.

تناولت رشفة من فنجان القهوة وفعل دانيال مثلها. ارتشف قهوته مستمتعاً بضوء الشمس، غارقاً بالإعجاب بتلك المدينة الجميلة التي ولد فيها.

- دانيال...

وضع دانيال فنجانه ونظر إليها قائلاً: «نعم؟».

- أريد أن أشكرك على كل شيء، بغض النظر عن دوافعك. كنت رائعاً في تصرفاتك مع والديّ وقت الغداء. كما كنت ذواقة بشأن الطعام، مع أنه طعام بسيط.

- لقد استمتعت به حقاً.

- أوه، ها هو محام كبير متخصص بشؤون الطلاق، قادم من تلال هوليود، معتاد على ذلك حقاً، أم أنه سئم ذلك كله؟

- أفضّل الصحبة التي حصلت عليها اليوم، وسوف أحصل عليها غداً.

- وماذا بعد ذلك، دانيال؟ أعني بأنك عائد إلى الولايات المتحدة في غضون

أسبوعين. أليس كذلك؟

- هذه خطتي في الأساس. في هذه الأثناء، أعتقد بأنك تودين الحصول على صحبة في رحلة شهر العسل التي دفعت تكلفتها مسبقاً، في هنتر فالي.

اتسعت حدقتا عيناها، وقالت: «هل أخبرتك عن ذلك أيضاً؟».

- بالتأكيد!

- يا لثرثرتي!

- إذن، ما رأيك؟

حدقت فيه طويلاً، وعيناها تحملان الكثير من التعابير التي تفضح مشاعرها. إنها تريده أن يأتي معها. إنه واثق من ذلك.

أجابت شارلوت: «لا أظن ذلك. فبقدر ما أجدك رجلاً جذاباً، أنا لا أريد أن أخاطر بالتورط معك عاطفياً. لقد أوضحت لي رأيك في الزواج. وهكذا، فإن قضاء وقت أطول برفقتك هو أمر جنوني. السبب الذي دفعني إلى الموافقة على الزواج بغاري هو أنه قال بأنه يريد الزواج والاستقرار وإنجاب الأطفال. فأنا أبلغ الآن الثالثة والثلاثين من العمر، ولن أضيّع المزيد من الوقت على رجل آخر لن يعطيني ما أريده. سأقضي معك يوم غد، وما إن يأتي فجر اليوم التالي حتى ينتهي كل ما بيننا».

موقفها هذا أثّر كثيراً بدانيال، وجعله يصحو من أحلامه. فمنذ بلوغه، تعوّد أن يضع القوانين بنفسه، بشأن ما يريده وما لا يريده في علاقاته. وها هو الآن يلتقي بامرأة قادرة على إبلاغه بما تريده هي، منذ البداية. لقد تعوّد على نساء يبدين استعدادهن لتلبية رغباته دون نقاش، ولعل ذلك يرجع إلى أنهن كن يأملن بإيقاعه في شراكهن.

أوه، يا لهذا المرأة! إنها من النوع الذي يتمنى كل رجل أن يتقرب منها. وشعر بدافع يحثه كي يضمها بين ذراعيه، ويقول لها بأنه قد تعلّق بها فعلاً.

لكنه كبح جماح نفسه، فمثل هذا التصرف سوف يثير لديها ردّة فعل

عكسية. ولا شك بأن الأذى الذي تعرضت له في الماضي جعلها عنيدة جداً، ومتعبة جداً. ولا ريب في أنها ستعتبره كاذباً إذا ما أخبرها بأنه غيّر الكثير من قناعاته منذ أن التقاها. وسوف تعتبر بأنه يحاول إغواءها كي يستطيع تحقيق مطامعه بأن تبقى معه لأكثر من يوم واحد.

كان عليه أن يتظاهر بأنه متوافق مع رغباتها. لكن، بقدر ما كانت شارلوت مصممة على مقاومته، كان هو مصمماً على استمالتها وكسب ودّها.

إنه يريدها لوقت أطول من فترة الاحتفال بالزفاف. لن يصل الأمر إلى الزواج بالطبع، فدانيال لن يتبنّى مطلقاً فكرة هذه المؤسسة غير الواقعية والتي تفتقد إلى الثقة. لكن الزواج ليس وحده البديل لقيام علاقة بينهما.

أخيراً، أجابها وقد شعر بالارتياح بسبب الخيبة التي ظهرت على وجهها إثر مجاراته لها: «حسن جداً. إذن، ماذا ستقولين لأسرتك بشأننا؟».

- إنها مشكلتي. سأقلّك إلى منزل شقيقتك صباح ليلة الزفاف ثم أمضي إلى وادي هنتر بمفردي. أظنّ أن الوقت الذي سأمضيه هناك سيوفر لي الفرصة كي أقرر متى وكيف سأشرح لأهلي أن زواجنا لم ينجح.

قال دانيال: «بمناسبة الحديث عن زفافنا، لعلّ من الأفضل أن تعطيني كافة التفاصيل بشأن يوم غد. الأوقات والأماكن... الخ. وإذا لم تمانعي، أريدك أن تقليني إلى منزل شقيقتي، وهكذا يكون من الأسهل أن نشرح لها معاً ما سنقوم به غداً».

- يا إلهي، هل يتحتم عليّ ذلك؟

لم يشعر دانيال بالقلق، فهو يعرف أن بيث ستحب شارلوت، بل ستحبها كثيراً. أجابها بحزم: «نعم، شارلوت. عليك أن تفعلي ذلك».

٧ - إنها هي، شقراء أم سمراء

- هل أنت واثقة من ذلك يا شارلوت؟ سيفوت الأوان بعد قليل.

وجهت لويزا سؤالها هذا لشارلوت، وكانت هذه الأخيرة جالسة على أحد كراسي المطبخ، وهي ترتدي رداء من النايلون. استغرقها الأمر عدة لحظات لتستفيق من أحلامها: للحظة من الزمن، خيّل لشارلوت بأن لويزا تتحدث عن قرارها بالمضي قدماً في ذلك الزفاف المزيف الذي سيتم في وقت لاحق من اليوم. لكنها سرعان ما انتبهت بأنها فقط تعطيها فرصة لتتراجع عن قرارها بشأن تخلصها من لون شعرها الأشقر.

قالت شارلوت: «بالتأكيد».

فتغيير لون شعرها هو من بين الأمور القليلة التي هي واثقة منها، أما مضيّها بالزفاف المزيف فهو يسبب لها الكثير من القلق. وقد فات الأوان الآن على التراجع.

كان يجدر بها إبلاغ والديها بالحقيقة منذ البداية. فلا شك أن التظاهر بالزواج من دانيال ثم قضاء الليلة معه في جناح العرائس في الفندق، هو أمر لا يخلو من المخاطرة. فالرجل يضج بالحيوية والحركة، أما هي فليست سوى مغفلة ساذجة. وتخيلت شارلوت نفسها واقعة في شباكه، وهي تتمنى قضاء أكثر من ليلة واحدة معه. إذ من الذي يستطيع تخمين مشاعرها غداً صباحاً إذا ما حاول دانيال إغواءها؟

لعله هو أيضاً يراهن على هذا الأمر. إن موافقته السريعة على قرارها بألاّ يرافقها في رحلة شهر العسل، أمر مثير للريبة. وشارلوت على استعداد

للمراهنة بأنه ما زال يأمل بإقناعها بالموافقة على اصطحابه معها. أما الآن، فكل ما تأمل به هو أن تمتلك الشجاعة الكافية لتقول له «لا» عندما يحين الوقت لذلك.

-فليكن ما تريدين إذن!

ذلك ما قالته لويزا بابتهاج، ثم بدأت بوضع اللون البني الغامق على شعر شارلوت.

- هذا اللون يناسبني أكثر، أليس كذلك؟

- يا للسخرية؟

- ما الأمر يا لويزا؟ لطالما قلتِ لي بأن اللون الأشقر ليس مناسباً لطلعتي، وأنا كنت أوافقك الرأي في قرارة نفسي. والآن، لم أعد مجبرة على إرضاء غاري، ولا أطيق الانتظار كي أرجع سمراء كما كنت.

- إذن، من هو الشخص الذي تحاولين استمالته هذه المرة؟ آمل ألاّ يكون دانيال. أنت لم تقعي في غرامه بعد. أليس كذلك؟

ما كان على شارلوت أن تتردد في الإجابة.

- يا إلهي! هل هذا ما حدث؟

سارعت شارلوت إلى الإنكار: «لا، لا. لم يحدث ذلك. لكنه من ذلك النوع من الرجال الذين يسهل على الفتيات الوقوع في غرامهم. انتظري حتى تلتقي به يا لويزا، عندها قد تفهمين قصدي. لقد استطاع جعل أمي وأبي يتعلقان به في وقت قصير. بدا الأمر محرجاً. لكنه، بالتأكيد، كان مؤثراً.

- يبدو لي أنه من فئة الرجال الساحرين، والفارغين في الوقت نفسه، تماماً مثل غاري ودواين. فكلاهما يمتلك موهبة الثرثرة، وأنت تفتتنين دوماً بالشبان ذوي الألسنة الزلقة.

أجابتها شارلوت: «إنه لا يشبه غاري أو دواين على الإطلاق».

وفكرت أنه أكثر خطورة من أي منهما. كما أدركت الآن بأن غاري

ودواين لم يتعمدا خيانتها، وإنما هما ضعيفان فقط. لكن دانيال لا تبدو عليه أية إمارات ضعف.

وكررت قولها: «ستفهمين ذلك عندما ترينه».

- أنا وبراد لا نستطيع الانتظار.

- ليتك لم تخبري براد بالحقيقة.

- وهل توقعت ألا أخبره حقاً؟ يتعيّن على براد أن يرتدي ثيابه الرسمية ويرافق ذلك الرجل في الفندق اليوم. كما عليه أن يمسك بيده إلى أن تظهري أنت، وتتظاهري بأنك ستتزوجينه. يستطيع براد ملاحظة الأمور الغريبة على بعد أميال، ولا بد أنه سيلاحظ أن هناك شيئاً غير عادي.

- نعم، أفترض ذلك.

- لا تقلقي، لأن براد أحب طريقة دانيال في التصرف. أنت تعرفين أنه يعجب بالأشخاص الذين يحققون ما يرغبون به في هذه الحياة.

شعرت شارلوت بالارتجاف في أعماقها. فآخر شيء ترغب بأن تسمعه هو قوة روح المغامرة التي يتمتع بها دانيال. حاولت ألاّ تفكر كثيراً بالأمر، إذ يكفيها ما تفكر به من شؤون الزفاف وتحضيراته.

لعل قرارها باستعادة لون شعرها البني يتناقض مع قرار المضي قدماً في هذا الزفاف. وإذا أرادت أن تكون صادقة مع نفسها، عليها أن تعترف بأنها أرادت أن تسبب الصدمة لدانيال بمظهرها اليوم.

أما كبرياؤها، فقد اختفت ليحل محلها الزهو الفارغ. وهي تعرف بأنها ستدفع الثمن غالياً إذا ما أعجب بمظهرها الجديد. لكنها لم تستطع أن تقاوم إغراء التخلص من الشيء الوحيد الذي لم يحبه فيها. شعرها الأشقر المزيف!

قالت لها لويزا: «سوف تبدين رائعة بالشعر البني، فاللون الأشقر لا يناسبك. لا شك بأن دانيال سوف ينبهر حين يراكِ في ثوب العرس. من يعرف؟ ربما سيقع في غرامك، وتجدين نفسك وسط زفاف حقيقي».

- أوقفي أحلامك لويزا. إنه محام مختص بقضايا الطلاق، ووالده تزوج خمس مرات. لذا فهو عدو عنيد لفكرة الزواج.

- شارلوت، أنت تبدين متهكمة، مثلي تماماً.

- لا بد أن ينتهي المرء كذلك.

- صحيح، لكنني لا أحب أن أراك على هذه الحالة. فأنا أحب تفاؤلك، ذلك التفاؤل الذي يميز الفتاة الريفية.

- آه. هذا الوصف هو طريقة أخرى للقول بأنني ساذجة غبية. حسناً، أنا لا أنوي البقاء ساذجة وغبية بعد الآن. سوف أمضي ليلة واحدة مع دانيال، ثم ينتهي كل شيء في اليوم التالي.

- ألن تأخذيه معك في رحلة شهر العسل؟

- بالتأكيد لا.

- لكن، لم لا؟ أراهن أنه سيسر بأن يرافقك.

- أنا واثقة من ذلك، لكنني لا أريد استغلال الرجال كما تفعلين أنت يا لويزا، فأنا غير مخلوقة لذلك. إذا فعلت ذلك سوف أقع في غرامه، ويتحطم قلبي مرة أخرى.

- أنت محقة، فهذا ما سيحصل.

ساد الصمت بين الفتاتين لفترة قصيرة. وأخيراً سألتها لويزا: «أتعتقدين حقاً بأنني استغل الرجال؟».

تنهدت شارلوت. إنها تحب لويزا، الفتاة التي ظلت مخلصة لها، لكنها قاسية جداً على الجنس الآخر. وهي تعتقد أن أياً منهم لا يقدر على تقديم الحب الصادق، بل يقدرون فقط على تقديم العلاقة الجسدية، والتي قدرت لويزا صلاحيتها بستة أشهر. ولاحظت شارلوت بأن ستة أشهر كاملة مرت على علاقة لويزا مع براد.

- براد يحبك حقاً يا لويزا.

أطلقت لويزا صرخة احتجاج: «أعرف تماماً ما يحبه براد، ولهذا أنا أواعده. أؤكد لك بأن ذلك الرجل ذو سحر لا يقاوم».

مازحتها شارلوت قائلة: «لعلّك تعيرينني براد لليلة واحدة».

- أفضل الموت على ذلك يا فتاة.

رمقت شارلوت صديقتها بنظرة ذات مغزى، وردّت قائلة: «أرأيت؟ إنك تحبينه أيضاً».

توقفت لويزا لحظة عن صبغ شعر صديقتها، وقالت: «نعم، لعلني أحبه، لكنني لا أنوي إخباره بذلك. ليس الآن على الأقل. فأنا أريد أن أعرف كيف يتصرف بعد أن ينتهي الانبهار بيننا. وهذا ما سيحدث في أي وقت قريب. لكن، لنعد إليك يا حمامتي الطيبة. ما رأيك بأن أرتب لك موعداً مع أحد أصدقاء براد، في غضون أسبوع أو اسبوعين؟ فلديه الكثير من الأصدقاء».

لم يساور شارلوت أي شك بذلك. فبراد رجل ودي، ولديه الكثير من الطاقة والاحساس بالمرح.

- لا أظن بأن هذا ما أريده. أعتقد بأنني سأنسى أمر مواعدة الرجال لمدة معينة.

- لا تتخلي عن ذلك لفترة طويلة. تعرفين ماذا يقال؟ ما إن تسقطي عن ظهر الفرس عليك أن تمتطيه مرة أخرى على الفور.

لم ترد شارلوت على هذه النصيحة، فهي تشك بأن يكون دانيال هو الشخص المناسب لإقامة علاقة جديدة. جلست بصمت وراحت تعبث بخاتم الخطوبة المصنوع من الياقوت الأزرق، والذي أهداها إياه غاري. إنها مضطرة إلى الاحتفاظ به في إصبعها إلى أن ينتهي حفل الزفاف، على الأقل.

فجأة، غمرتها موجة من الاكتئاب، وهي تدرك مدى عبثية يومها وليلتها أيضاً. وكل أمل ضعيف أزهر في داخلها، بدا فجأة سخيفاً. سواء كانت سمراء أم شقراء، ستبقى تلك الفتاة التي يتخلى الرجال عنها على الدوام. ستبقى

شارلوت التي تفتقد للقدرة على إدراك واقعها.

أما دانيال، فسيكون مرتاحاً صباح الغد لأنه لن يضطر إلى مرافقتها في رحلة شهر العسل. ولربما يشعر بالسرور أيضاً لمغادرة جناح العرائس قبل تناول الفطور، ليتركها لأحزانها.

أجهشت شارلوت بالبكاء، فما كان من لويزا إلا أن وضعت فرشاة صبغ الشعر من يدها في المغسلة، واستدارت بسرعة، ثم ركعت أمام صديقتها.

رؤية صديقتها المفضلة غارقة في دموعها أصاب لويزا بتصلب في حنجرتها.

قالت بنعومة: «لا بأس، لا بأس، كنت أود احتضانك لولا أن وجهك سيصطبغ باللون الكستنائي. من المؤكد بأنك لا ترغبين بأن تبدو إشبينة العروس وكأنها استخدمت أرخص مساحيق الاسمرار، أليس كذلك؟».

لاحت ملامح ابتسامة مشرقة من خلال دموع شارلوت: «نعم».

قالت لها لويزا مشجعة: «اسمعي، أعرف أن هذا اليوم سيكون صعباً عليك. لكن عليك أن تتذكري السبب الذي جعلك تفعلين ما تفعلينه. فأنت قلت إنك لا تتحملين جرح مشاعر أهلك، ولا شيء يهم سوى ذلك هذا اليوم، أليس كذلك؟».

مسحت شارلوت دموعها بيديها وأجابت: «أنت محقة، لكنني أشعر بالحزن على نفسي. لا تقلقي يا لويزا، سأكون بخير. والآن، تابعي الاهتمام بشعري، لأنني أرغب بأن أبدو عروساً متألقة بقدر الإمكان. وأريد أن يشعر أبي وأمي بالفخر».

- يا للفتاة الرائعة!

قالت لويزا ذلك وهي تفكر في سرها بأن ليس من الصعب على شارلوت أن تبدو كذلك.

يا للمفاجأة الكبرى التي تنتظر دانيال العزيز عندما يرى شارلوت! ربما يكون قد شعر بالانجذاب نحوها بالأمس، لكن رؤيتها بثوب العرس سوف تذهله تماماً!

www.elromancia.com

٨ - تاج العروس

- إذن، أخبرني يا غاري، أهي المرة الأولى التي تتزوج فيها؟

توقف دانيال عن عقد ربطة عنقه ليحدق قليلاً بإشبينه المفترض.

بدا براد في أواسط العشرينات من عمره، وهو طويل القامة، نحيل، وذو شعر ذهبي وابتسامة عريضة. وهو يعمل في تخمين قيمة الأراضي، ويواعد صديقة شارلوت المفضلة منذ ستة أشهر، مع أنه يصغرها بعقد من السنين. بدا ذكياً، ومسروراً لسبب مجهول. وبالطبع، لا يتطلب الأمر عبقرية كبيرة كي يكتشف المرء سبب ذلك.

أجابه دانيال: «حسناً يا براد، لنكف عن التظاهر. يبدو لي بأنك تعرف ما يدور هنا في الحقيقة، وهكذا يمكنك أن تتوقف عن مناداتي غاري، على الأقل في ما بيننا. اسمي دانيال».

ثم مد يده ليصافحه مرة أخرى: «دانيال بانيستر».

ابتسم براد وهو يصافح يد دانيال: «يسرني التعرف إليك، دانيال. آسف بشأن التظاهر بجهلي للأمر، لم أستطع منع نفسي من الضحك. لكن، لا داعي للتظاهر. أعتقد بأنك تقدم لشارلوت خدمة كبيرة. إنها فتاة عظيمة. هل أنت واثق بأنك لا تريد الزواج بها فعلاً؟».

ابتسم دانيال وردّ قائلاً: «إذا ما تجاهلنا الأمور القانونية، التي لا يمكن في الواقع تجاهلها، فأنا لا أعتقد أن هذا الأمر صائب. فأنا لم أقابل شارلوت إلاّ البارحة».

بعد أن أكمل دانيال كلامه، عاد ليتابع عقد ربطة عنقه.

- وماذا في ذلك؟ أنا تأكدت بعد دقائق من مقابلتي للو بأنها الفتاة التي أبحث عنها. يا للحسناء الدافئة! لكن المشكلة هي أنها فاتنة وصعبة، وقد عرفت الفشل أكثر من مرة. لكنني سأتزوجها يوماً ما، لا جدال في ذلك.

- هل طلبت يدها؟

- بالتأكيد، ومنذ الأسبوع الأول. يومها ضحكت لو كثيراً، ولوقت طويل، حتى إنني قررت عدم فتح الموضوع معها لبعض الوقت.

وابتسم براد مرة أخرى قبل أن يتابع: «لكنني أحرز تقدماً. فنحن نمضي الكثير من الأوقات معاً».

وجد دانيال نفسه مضطراً للضحك. إلاّ أن هذا الحديث حوّل تفكيره إلى ما سيحصل هذه الليلة. فالكثير من الأمور يعتمد على ذلك. لم يسبق له أن شعر بمثل هذا الضغط، لكن يبدو أن هذا اليوم سيحمل من الضغوطات أكثر مما يتوقع.

قال دانيال وهو يعمل على ربطة عنقه المتدلية: «للإجابة عن سؤالك الأول، أقول لك لا. لم يسبق لي أن تزوجت من قبل».

- إذن، هل نستطيع القول بأنك «تحت نصيبك» يا دان؟

- أنا أعزب، نعم.

- كم عمرك بالضبط؟

- ستة وثلاثون عاماً.

- ألديك صديقة في موطنك؟

- ليس في الوقت الحاضر.

- أخبرتني لو بأنك محام. واستناداً إلى مظهرك، فأنت محام مرموق.

- أنا مرتاح جداً لما وصلت إليه.

إن عبارة «مرتاح جداً» تصلح لتكون وصفاً دقيقاً لثروة دانيال حتى قبل أربع

سنوات، وذلك قبل أن يستثمر أمواله في إنتاج فيلم سينمائي. في ذلك الوقت كان أحد المنتجين، وهو زوج إحدى زبوناته، قد تركها. وهي ممثلة متوسطة في العمر. وعندما قدمت له النص الذي تعمل عليه، والذي ادّعت أنه سيعيد الحياة إلى مهنتها وقرأه دانيال بدافع التعاطف معها لا أكثر، وجد نفسه غارقاً فيه. فعمد إلى استثمار كل ما استطاع وضع يده عليه من أموال في هذا الفيلم.

أصاب ذلك الفيلم الذي تم انتاجه باستقلالية تامة، نجاحاً كبيراً. وما زالت مداخيله تتوالى.

أضاف دانيال: «قمت أيضاً ببعض الاستثمارات الصائبة عبر السنين».

أطلق براد ضحكة خافتة: «يا لك من ابن مدينة بارد الأعصاب، أليس كذلك؟ لكنك تثير شفقتي لأنك لن تتزوج شارلوت فعلاً. أنا واثق بأنك تصلح بأن تكون زوجاً صالحاً لها. ذلك لا يعني أن لو ستوافق على ذلك، لأنها تظن بأن كل ما يهمك هو إغواء شارلوت».

- ماذا؟

استدار دانيال مع إطلاقه هذا السؤال. لكن تصرفه المفاجئ هذا تسبب بانفلات ربطة عنقه من جديد.

هزّ براد كتفيه: «هذا هو تصوّر لو بشأنك، فهي دائماً تتوقع الأسوأ من الرجال. أما أنا شخصياً فليس لدي مانع من رغبتك بإيقاع شارلوت في غرامك، فهي بالتأكيد فتاة مميزة. أظنها تستطيع تدبر أمرها إذا ما وقعت في غرام الرجل المناسب».

حاول دانيال أن يخفي مفاجأته، لكنه، في الواقع، كان يشعر بالدهشة. توجه إلى براد بجفاء واضح: «لا أظن أنه يجدر بنا مناقشة حياة شارلوت الخاصة. ألا تظن ذلك؟».

شعر براد بالصدمة بسبب التأنيب الذي وجهه إليه دانيال، وقال: «أوه! حسناً، نعم. هذا صحيح، إن كنت تعتقد ذلك. كل ما في الأمر هو أن لو أخبرتني أنك ستمضي الليل مع شارلوت في جناح العرائس في هذا الفندق،

وظننت بأن من الأفضل أن احذرك مسبقاً».

- حسناً، شكراً لك.

- لا مشكلة.

حاول دانيال عقد ربطة عنقه للمرة الثالثة دون أن يصيب نجاحاً.

- أنت لا تجيد عقد ربطة العنق، أليس كذلك؟

أجابه دانيال وقد عكست تنهيدته خيبة الأمل: «عادة، أربطها بشكل جيد».

- لعلك متوتر أكثر مما يبدو عليك.

ردّ دانيال وقد أزعجه فشله في تلك المهمة البسيطة: «ما الذي يدعوني إلى التوتر؟ كل ما يجري هنا مزيف».

- لكن الخطابات ليست مزيفة يا صديقي!

- خطابات! وهل يتعيّن عليّ بأن ألقي خطاباً؟

- نعم، فأنت العريس هنا. ألم تحضر حفلات زفاف من قبل؟

- عادة ما أتجنبها.

من الصعب على المرء أن يشارك في متعة حفل الزفاف عندما يكون محامياً مختصاً بقضايا الطلاق، لا سيما إذا كان والده قد تزوج خمس مرات. كان بوده أن يحضر عرس بيث، لكن بيث وفينس تزوجا خطيفة.

قال براد وقد اكتسى صوته مسحة من السخط: «لا بد أنك شاهدت أفلاماً سينمائية فيها حفلات زفاف. مثل «عرس أفضل صديق لي» و«أربعة أعراس وجنازة». مع أن تلك الأفلام قد احتوت على الكثير من التبجح، إلا أنني لا أظن أن خطاب العريس فيها كان تبجحاً».

ثم مسّد براد ذقنه وقال: «هناك خطاب للإشبين أيضاً. فأنا عليّ أن ألقي خطاباً عنك، وأنت عليك أن تلقي خطاباً عن العروس. لا شيء مضحك في

الأمر، لكن يجب أن يتضمن الخطاب الكثير من العاطفة؛ كيف التقيت بها لأول مرة، رأيك بأسرتها، مدى حبك لها، وأشياء كهذه».

كشّر دانيال وهو يفكر أن الأمر هو أكثر صعوبة مما تصوّر. فمع أن الخطابات هي مهنته، إلا أن هذا الخطاب يختلف عن التوجه إلى هيئة المحلفين.

تقدم براد إلى الأمام ليكمل عقد ربطة عنق دانيال، ثم قال: «إليك نصيحة رجل يفوقك خبرة في هذا المجال: أبق الأمر في المستوى البسيط. كما أن العناق هو الحل الأمثل».

أغمض دانيال عينيه وقال: «ماذا؟».

- أتجهل ذلك أيضاً؟ العناق... العناق. يمكنك أن تكتفي بوصف جمالها الفائق، ومدى حبك لها، وكيف أنك مستعد إلى الذهاب إلى أطراف الدنيا من أجلها. هذا ما فعلته أنت بالضبط.

ثم أضاف براد وهو يقهقه: «أما أنا فلا يمكنني أن ابتعد كثيراً عن أوستراليا، إلا إذا أردت العيش مع طيور البطريق في القارة المتجمدة الجنوبية. حسناً، انتهينا من ربطة عنقك، وها أنت جاهز».

- شكراً لك.

ألقى نظرة على ساعته فأدرك أن الساعة تشير إلى الرابعة إلاّ ثلاث عشرة دقيقة. وكان الزفاف مقرراً عند الرابعة تماماً. أي أن الوقت قد حان للانطلاق. تفحص جيب سترته الأمامي باحثاً عن شيء ما، وتأكد من وجوده. ثم سأل إشبينه: «هل الخواتم بحوزتك؟».

ربّت براد على جيب سترته، وأجاب: «نعم، إنهما هنا بأمان. لقد قمت بذلك من قبل يا صديقي، ثق بي».

أومأ دانيال قائلاً: «أعرف ذلك. لقد قدمت لي مساعدة عظيمة. ولأكون صادقاً، علي أن أعترف بأنه لم يكن بإمكاني فعل أي شيء من دونك».

هذا صحيح. والدليل هو أنه لم يتمكن حتى من عقد ربطة عنقه بطريقة

صحيحة.

بدا براد مزهواً بهذا الإطراء: «أتعلم؟ لا بأس بك كمحام أميركي. ظننت أنكم جميعاً سيئون».

ضحك دانيال قائلاً: «لا تصدق كل ما تراه على شاشة التلفزيون».

- كنت أفكر بغاري.

- حسناً، نعم. هناك الكثير من أمثال غاري في هذا العالم، وليس في أميركا فقط، أو في عالم المحامين بالتحديد. لكن، لمعلوماتك، أنا لست أميركياً، على الرغم من لهجتي. فقد ولدت وتعلمت هنا في سيدني.

- إذن! عرفت الآن لماذا أحببتك بهذا القدر.

ابتسم دانيال وقال: «إنه شعور متبادل. هل ننصرف الآن؟».

استدار الرجلان وسارا كأنهما رجل واحد، ثم توجها نحو الباب.

* * *

في وقت سابق من هذا اليوم، تفحص دانيال ترتيبات حفل الزفاف مع فينس. وكان فينس قد وافق على لعب دور الكاهن. وكان من المفترض أن يجري حفل الزفاف في الطابق الأرضي للفندق، وفي قاعة مستنبت زجاجي يتماشى جوّه مع الديكور المغرق في الرومنسية لفندق ريجنسي رويال ذي الطراز القديم.

كان سطح القاعة عبارة عن قبة زجاجية ضخمة، هي من بقايا الحقب الماضية. بالإضافة إلى أرضية من الحجارة المرصوفة، يزينها الكثير من النباتات المزهرة وأشجار النخيل. أما الجدران، فكلها من الزجاج باستثناء ذلك الذي يواجه المدخل، فهو من الحجارة. بينما يجري جدول من الماء في هذه الجهة ليصل إلى بركة للزينة موجودة في أرضية القاعة.

كان من المقرر أن تجري حفلة الزفاف أمام هذه البركة حيث يجري الشلال الاصطناعي. عندما دخل دانيال إلى هذا المستنبت كانت الأرضية

مغطاة بالطاولات والكراسي الحديدية ذات اللون الأسود، فقد جرت العادة أن يستخدم هذا المستنبت كمقهى لتناول العصير أو القهوة. وقد أكد له المسؤول بأن الأثاث سوف يزال ويستبدل بمقاعد بيضاء نظيفة، ومرتبة تماماً في صفين مقوسين، لإفساح المجال للضيوف بأن يتمتعوا بالمنظر الخلاب. كما سيتم وضع سجادة حمراء وثيرة بين الصفّين، هذه السجادة تنتهي عند أسفل الشلال. بالإضافة إلى توفير منصة خشبية رائعة ليقف الكاهن خلفها، وطاولة مغطاة بغطاء كتاني أبيض اللون، أعدّت لتوقيع وثيقة الزواج.

- واو!

صرخ براد وهما يسيران عبر مدخل قاعة المستنبت.

وظهرت الدهشة على وجه دانيال أيضاً، لأن التغيير الذي تم إنجازه في قاعة المستنبت فاق الوصف الذي سمعه هذا الصباح. فلم يذكر له أحد شيئاً عن كمية الأزهار الإضافية، أو الموسيقى الرائعة، أو الرجلين اللذين يقفان بانتباه على جانبي المدخل وهما يرتديان زياً رائعاً.

لكن ما أشعر دانيال بالصدمة، في الواقع، هو ذلك الجو السائد في القاعة، والطاقة التي تشع من عيون الضيوف الأنيقين، وكان معظمهم قد جلسوا في مقاعدهم. ما إن ظهر دانيال على السجادة الحمراء حتى تحركت الرؤوس باتجاهه، وكل يبتسم له ويحدق إليه بقوة.

بالطبع، لم يعرف دانيال أي شخص منهم باستثناء والدة شارلوت. ارتدت بيتي فستاناً زهري اللون، وكانت تنظر باتجاهه وهي تلوح له بيدين يغطيهما قفازين.

دوّى صوت خلف دانيال جعله يستدير إلى الوراء؛ لقد أغلق الحارسان الأبواب.

ولاحظ دانيال، للمرة الأولى، أنها مصنوعة من الزجاج المغبّر، بحيث لا تمكن الرؤية من خلالها.

وأوضح له براد: «المقصود من الأبواب ذات الزجاج المغبّر ألاّ ترى العروس إلا في الوقت المناسب. لأن العروس يجب أن تدخل في احتفال مميز».

- آه، فهمت.

وتمنى دانيال لو أنه تناول شراباً مهدئاً قبل مجيئه، فهو لم يتوقع، حتى هذه اللحظة، المحنة التي علق فيها.

- من هنا، يا صديقي.

قال له براد ذلك وهو يرسم ابتسامة ساخرة على شفتيه، قبل أن يلكزه برفق. تقدم الرجلان على السجادة الحمراء، باتجاه المكان الذي ينتظرهما فينس فيه. وقد بدا هذا الأخير فخوراً بنفسه وأكبر من سنواته السبع والثلاثين، ببذلته الرمادية الداكنة مع قميصه البيضاء وربطة العنق الرمادية. أما شعره الأسود المتموج، والذي يبدو في العادة طويلاً وغير مسرّح، فقد بدا قصيراً هذا الصباح، وذلك كي يبدو فينس أشبه بكاهن يرتب مراسم الزواج. وقد اتفق الرجلان على عدم إظهار معرفتهما ببعضهما. صافح دانيال يد فينس الممدودة إليه، وكأنه يجتمع به للمرة الأولى، وكذلك فعل براد بعد أن غمز الإثنين خلسة.

فجأة، التفت الجميع ليواجهوا الأبواب المغبّرة، بعد أن تغيّرت الموسيقى من اللحن الرومنسي الهادئ إلى تلك الموسيقى القوية الخاصة بمسيرة الزفاف.

فتحت الأبواب على مصاريعها، وسيطر السكون على الضيوف، بينما تطاولت الأعناق لرؤية العروس.

ظهرت الإشينة أولاً، وراحت تسير ببطء على السجادة الحمراء، لا بد أنها لويزا.

بدت لويزا طويلة القامة نحيلة الخصر، أنيقة بثوبها الأزرق الذي يكشف عن عنقها وكتفيها، ليتدلى فوق جسدها في ثنيات على الطراز اليوناني فيصل إلى الأرض. أما شعرها، الذي يماثل لونه الأحمر باقة الأزهار التي تحملها، فبدا

أملس ناعماً، وقد تدلى حول وجهها وهي تمشي. ومع أن وجهها بدا نحيلاً إلا أن شفتيها بدتا ممتلئتين. كما كانت عيناها تلتمعان مضفية عليها مسحة جمال رائعة بزرقتهما الصافية.

سرعان ما ظهرت الحماسة على براد الذي يقف بجانب دانيال، فقال: «واو! أترى ما أقصده؟ إنها دافئة يا رجل».

وما إن اقتربت منهما أكثر، حتى تركزت نظرات عينيها الزرقاوين الجريئتين على دانيال بطريقة تقييمية، ما جعله يشعر بالخجل.

همست لويزا بطريقة متشدقة، عندما أصبحت على مسافة قريبة منهما: «هم، أدركت الآن ما الذي تعنيه شارلوت».

أراد دانيال أن يسألها عن ذلك الشيء، لكن لا الزمان ولا المكان يسمحان بذلك. لربما يستطيع طرح سؤاله في وقت لاحق. بدلاً من ذلك تمكن من وضع ابتسامة باردة على وجهه مرحباً بها بلطف.

بادلته لويزا تحيته بنظرة قاتلة، ثم رمت براد بابتسامة رائعة قبل أن تقول: «تبدو رائعاً، عزيزي».

همست بهذه الكلمات في أذن براد قبل أن تغادر مكانها إلى الجهة الأخرى من دانيال تاركة فسحة كافية لشارلوت.

أعاد دانيال تركيزه إلى مدخل القاعة حيث أمكنه رؤية غيمة بيضاء مغمورة بضوء خافت خلف الأبواب المفتوحة مباشرة.

فجأة، أحسّ دانيال بجفاف في حنجرته. ابتلع ريقه، ثم ابتلعه مرة أخرى. هل تشعر شارلوت بمثل هذا التوتر الذي ينتابه؟

همس لرفيقه ذي الشعر الأشقر: «ما الذي تفعله يا ترى؟».

- أعتقد بأنها تنزع طرحتها الصغيرة، بعد أن قررت أنها لا تتناسب مع تسريحة شعرها الجديدة.

لم تكد الكلمات تستقر في ذهن دانيال حتى تحركت الغيمة البيضاء،

واستحوذت شارلوت على انتباهه، بشكل لم يكن يتصوره من قبل.

إذا كانت حنجرته قد بدت جافة من قبل، فقد غدت الآن أشبه بلوح من الصبّار، وكأن فستان عرسها قد صمّم ليفقد عريسها صوابه.

استجاب دانيال لرؤيتها بدفق من الرغبة الفطرية.

كان فستان شارلوت مكشوفاً عند العنق والكتفين كفستان لويزا، لكنه لم يكن ذا ثنيات كفستان صديقتها بل ضيقاً ينساب حول جسمها بأناقة، وقد تدلت تنورته بنعومة ورقة إلى الأرض، فراحت ترفرف حول رجلي والدها وهو يرافقها على السجادة الحمراء.

لكن تاج مجدها المميز كان شعرها!

لقد اختفت كتلة الشعر الأشقر الطويل، وحل مكانها شعر ناعم متموج يصل طوله إلى الكتفين، بتموجات من اللون البني الغامق الرائع. حيث يعكس اللون الأحمر عند وقوع الضوء عليه. أما الظل الجوزي الغامق فقد شكّل تاجاً رائعاً فوق الفستان الأبيض الباهر، وبدا متناسباً تماماً مع اللون العسلي لبشرة كتفيها وذراعيها العاريتين. وقد أحيط وجهها وشعرها بنقاب قصير استقر عند أعلى رأسها، ثبت بتاج مزين بالماس والجواهر المزيفة. إلا أنها لم تضع أي عقد حول عنقها، لأنها، ببساطة، لا تحتاج إلى أية زينة إضافية.

منظر شارلوت الرائع ترك دانيال في حالة من الذهول المطبق. وبالكاد بدا منتبهاً إلى أضواء آلات التصوير وهي تلتمع في وجهه، أو للرجل الذي يصور فيلم الفيديو فيلتقط صورة لكل شيء. كانت نظرات دانيال منصبة على عروسه، وراح قلبه يخفق بطريقة لم يعرفها طيلة حياته.

٩ - ابتسم، من فضلك!

اجتاحتها موجة من الاضطراب العاطفي حين بدأت مسيرها على السجادة الحمراء متأبطة ذراع والدها. بدت عيناها دامعتين بتأثر بالغ وهي تركز نظرها على باقة الورود التي تحملها.

أهي سعيدة أم حزينة؟ نادمة أم ممتعضة؟ عصبية أم مضطربة؟

أدركت شارلوت أنها تعاني من هذه الحالات معاً.

إنها سعيدة لأن شعرها يبدو جميلاً، إلا أنها حزينة لأنها أمضت هذا الوقت الطويل بشعر أشقر، محاولة بذلك إرضاء غاري. كما أنها نادمة لأنها تهدر الكثير من أموال والدها في هذا اليوم، وممتعضة لأن غاري لم يهتم لأمرها أبداً. كانت تشعر كذلك بالعصبية لأنها تتظاهر بالزواج من دانيال في الوقت الذي يشعرها مجرد وجوده بالاضطراب.

لكن فكرة واحدة سيطرت على ذهنها طوال اليوم؛ الليلة.

كان من الصعب عليها أن تفكر بأي أمر آخر.

هل يشعر دانيال بالاضطراب والتوتر اللذين تشعر هي بهما؟

أخيراً رفعت بصرها لتنظر إليه. فترنحت خطواتها، وكذلك فعل قلبها. وتساءلت: هل شهدت الأرض عريساً أكثر وسامة!

يقول الناس بأن العرائس يبدون رائعات الجمال بفساتين أعراسهن، حتى لو كانت بسيطة. إلا أن الشيء نفسه يمكن أن يقال عن العرسان، من وجهة نظر شارلوت على الأقل. فها هي بذلة التوكسيدو قد أبرزت فتنة الرجل، فبدا ذا

قامة ممشوقة، بالغ الأناقة والوسامة.

ومع أن دانيال بدا وسيماً في بذلة العمل الرسمية، وجذاباً بشكل كبير وهو يرتدي بنطلون الجينز، إلا أنه بدا أكثر وسامة وروعة في بذلة التوكسيدو السوداء الأنيقة.

إن مجرد النظر إليه يجعل رأسها يدور، أما البقاء معه فأمر سوف يفقدها صوابها. كانت تحس بذلك في كل جزء من كيانها.

أما قرارها بعدم اصطحابه معها إلى وادي هنتر غداً، فقد اهتز قليلاً منذ الآن. إذا شعرت هذه الليلة بأن الأرض تميد تحتها وهي بين ذراعيه، فكيف يمكنها أن تتخلى عنه في الصباح؟

لكن، إذا ما أطالت بقاءها معه، فذلك سيجعل من خسارته أمراً أشد رعباً. ألن يكون ذلك تكراراً للخطأ نفسه مرة أخرى، بالتأرجح بين علاقة مأساوية وأخرى، وذلك في مدة قصيرة من الزمن؟ فلم تمضِ أسابيع قليلة على انفصالها عن دواين حتى التقت بغاري. أما الآن فقد التقت بدانيال فور ترك غاري لها.

- هل أنت على ما يرام، حبيبتي؟

استدارت شارلوت قليلاً لترى العبوس على وجه والدها. إنها لحظة حرجة بالنسبة إليها. إنها اللحظة التي أيقنت فيها أنها منهكة القوى بسبب مقاومة مشاعرها تجاه دانيال.

أرادت أن تبقى معه، حسناً، يمكنها أن تمضي أياماً قليلة برفقته، فلربما كانت هذه الأيام القليلة أفضل من قضاء بقية عمرها مع رجل آخر.

اقنعت نفسها بأنها مقبلة، هذه المرة، على مواجهة أقسى أزماتها العاطفية المحطمة لقلبها، إلا أنها عاجزة عن المقاومة. وأجابت والدها: «نعم، يا أبي».

وبعد جهد وضعت على فمها ابتسامة وأضافت: «إنني بخير».

ابتسامتها تلك زرعت الطمأنينة في قلب دانيال، وذلك إلى أن رأى عينيها.

أتراها تتمنى لو أن غاري هو من يقف مكانه؟

بالتأكيد لا! فحبها لغاري لم يزد عن حبه لها.

افترض دانيال أن حزنها ناتج عن مشاعرها الخاصة، فلا أحد يحب أن يبدو مغفلاً. فهل تشعر شارلوت بأنها كذلك؟

تمنى ألا يكون ذلك صحيحاً، فهي أبعد الناس عن الغباء أو الجنون. إنها حلوة، شجاعة، ومحبة. ومن المؤكد أن ذلك الغبي غاري لا يستحقها. أما بالنسبة إلى المدعو دواين.. فهو يتمنى لو يستطيع تسديد ضربة بين عينيه تجعله عاجزاً عن الإبصار لفترة من الزمن.

مع ذلك فإن شارلوت أسعد حالاً من دون الرجلين.

بادلها ابتسامتها عندما اقتربت منه، مصمّماً ألاّ يخذلها أبداً. وعندما تسلمها من والدها، همس في أذنها: «تبدين جميلة جداً».

التمعت عيناها الزرقاوان، ثم قالت: «شكراً لك. وأنت أيضاً تبدو وسيماً».

تنحنح فينس معيداً انتباههما إلى اللحظة الراهنة.

بدأ فينس الكلام بحذر شديد، ذلك أن النسخة غير الواضحة من مراسم الزفاف هي الوحيدة التي استطاع الحصول عليها الليلة الماضية.

- نجتمع هنا اليوم، لنحتفل بزفاف...

شرد ذهن دانيال بعيداً عن الكلمات التي تقال، ليركز انتباهه على شارلوت. كانت تضع الكثير من مساحيق التجميل على وجهها، لكن شعرها الداكن الرائع وفستانها المتألق يتطلبان ذلك. بدت عيناها الزرقاوان كبيرتين جداً بالظلال الزرقاء والكحل الأسود حولهما، أما أحمر الشفاه اللامع الذي وضعته فقد جعل شفتيها أكثر جمالاً.

صمّم دانيال أن يعمل المستحيل كي لا تبعده عنها يوم غد. فهو قد لا يكون صالحاً للزواج، لكنه مناسب جداً كحبيب.

كان فكره مستمراً بوضع الخطط للإيقاع بها عندما سمع فينس يسأل عمن سمح بزواج هذه المرأة.

أجاب والدها: «أنا».

قال كلمته تلك بكل فخر واعتزاز، وعندئذٍ، بدأ الاحتفال الحقيقي.

أجفل دانيال عندما طرح عليه السؤال التقليدي، إن كان يقبل بالعروس كزوجة له، إلا أنه أجاب في اللحظة المناسبة: «أنا أقبل».

أما شارلوت، فجعلت الحاضرين يعانون بحزن بسبب ترددها قبل أن تقول: «أنا أقبل».

وحمل تبادل الخواتم معه المزيد من التوتر، لا سيّما أن خاتم دانيال كان ضيقاً على إصبعه. كيف سيتمكن بعد ذلك من نزع ذلك الخاتم التافه؟

تنفس الصعداء عندما وصل فينس إلى عبارة: «والآن، أعلنكما زوجاً وزوجة».

ها قد مرّ أسوأ جزء، والآن عليه أن يعانق العروس.

كانا يقفان في مواجهة بعضهما البعض، وراحت شارلوت تحدق في عينيه وقد ظهر فيهما تعبير مثير. أصبح دانيال الآن واثقاً من أنها لم تحب غاري في السابق. لكن رعباً مفاجئاً ظهر على وجهها، وكأنها لا ترغب بأن يعانقها. وقد بدا ذلك واضحاً.

شعر دانيال بخيبة الأمل إلا أنه أدرك بأنها قد تكون قلقة خشية أن يعانقها كما فعل البارحة في صالة الفندق. فذلك العناق كان قوياً! وفكّر أن بإمكانه الانتظار إلى أن يصبحا خلف الأبواب المغلقة قبل أن يطلق العناق لمشاعره، ومع أن ضبطه لنفسه لن يكون بالأمر السهل.

بعد أن تمكن من تبريد مشاعره، أمسك وجهها بلطف بين يديه وعانقها عناقاً لطيفاً، دون ضغط أو تملك.

ولاح له حفل الاستقبال في الأفق كتجربة أكبر من حفل الزفاف هذا، ذلك

أنه سيأخذ وقتاً أطول. وربما يدوم لساعات طويلة، لكن ذلك أمر لا مهرب منه.

قال وهو يبتعد عنها قليلاً: «أحب شعرك، وفستانك أيضاً».

حدّقت شارلوت في عينيه وقد أظهرت عيناها تعبيراً غريباً، من ذلك النوع الذي يصيب المرء بالدوار. ثم سألته وهي تميل برأسها بدلال: «أتظن أن لون الشعر هذا يناسبني أكثر؟».

أجابها برقة: «نعم، كنت شقراء جميلة، لكنك الآن سمراء فاتنة».

ابتسمت له ابتسامة تنمّ عن السعادة. لا! بل إن ابتسامتها بدت مذهلة.

تمكن دانيال من كبت آهة كادت تفلت منه، وبادلها الابتسام وهو يقول بصدق: «لطالما كنت متحيزاً للسمراوات».

أوقف فينس هذه المحادثة بينهما بلمسة على مرفق دانيال، ثم قادهما إلى الطاولة من أجل توقيع عقد الزواج، فسارعا إلى توقيعه مع براد ولويزا. استمرت أضواء آلات التصوير بالسطوع، وكذلك الفيديو. ثم همس دانيال بكلمة شكر حذرة لفينس الذي قال بأنه سيتوجه فوراً إلى المنزل ليبلغ بيث بما حدث.

وكانت بيث قد توقعت في الليلة السابقة بأن يكون هذا الزفاف غاية في الرومنسية، مثبتة بذلك ميلها الدائم إلى الرومنسية.

أمرهما المصوّر قائلاً: «ابتسما من فضلكما. أيها العريس ابتسم من فضلك».

وتجاوب دانيال معه وابتسم.

قال دانيال وهو يرجع كرسيه إلى الخلف: «اعذريني للحظة من فضلك، يا شارلوت».

وما إن وقف حتى لاحقته بعينيها، وإذا به يسير باتجاه الطاولة التي يجلس إليها والدها. ثم جلس على الكرسي الذي غادرته والدتها مؤقتاً.

ظلت حركة حفل الاستقبال في أوج زخمها لأكثر من ساعة. ثمّ إحضار المقبلات ثم الطبق الرئيسي. وكانت شارلوت قد اختارت أنواع الأطعمة بنفسها، إلا أنها في الواقع، لم تتناول أي طعام حقيقي، بل اكتفت بتذوق بعض المقبلات. فمنذ اللحظة التي قال لها فيها دانيال بأنها فاتنة، لم يعد جوعها متجهاً إلى الطعام.

كانت نظراتها ما تزال مسلطة عليه عندما التفت إلى الوراء فجأة ونظر نحوها. أجفلت شارلوت لأنه ضبطها تحدق فيه، فحوّلت أنظارها بعيداً عنه.

همست لويزا في أذنها: «أتذكرين ما أخبرتك به سابقاً؟ إنه لا يستطيع إبعاد نظراته عنك».

- بل العكس هو الصحيح. فأنا لم أشعر بالانجذاب إلى رجل كما أشعر بالانجذاب إليه. أظن أنني، بعد كل شيء، سأصطحبه معي في رحلة شهر العسل.

ندّت عن لويزا ضحكة ناعمة، وقالت: «إذن، ها أنت تعرفين شعوري عندما أكون مع براد. لا شيء أجمل من الانجذاب المتبادل، أليس كذلك؟».

علا العبوس وجه شارلوت وعلّقت: «الانجذاب.. كيف يمكنني التأكد أن الأمر مقتصر على ذلك؟».

- وما الذي يمكن أن يكون غير ذلك؟ لا تذهبي بعيداً بتفكيرك، بالله عليك، وتظني بأنك واقعة في حبه يا فتاة. أعترف بأنني لو لم أكن مأخوذة ببراد، لصوّبت سهام عيني باتجاه دانيال، أنا أيضاً.

كان براد يجلس في المقعد المقابل لمقعد دانيال الخالي، وإذا به يقول: «هل سمعت أحدهم يذكر اسمي؟».

ذبّلت لويزا عينيها، وقالت: «من المدهش كيف تتجه أذناه إلى الأعلى، ما إن يتلفظ شخص باسمه. نعم يا براد، كنا نتحدث عنك ونقول بأنك تبدو جذاباً في بذلة التوكس».

- كنت أفكر بالأمر نفسه عنك، يا حلوتي.

- ماذا؟ كيف يكن أن أبدو كذلك وأنا مرتدية بذلة التوكس؟

ضحك براد وأجاب: «أنت لست بكامل وعيك يا لو. آه، لقد رجع دان. هل أنت حاضر لإلقاء خطابك يا صديقي؟ إننا جاهزون».

أجاب دانيال وهو يجلس في مقعده: «أنا جاهز دائماً. لكن والدك سيلقي كلمته أولاً يا شارلوت».

كان عقل شارلوت مستغرقاً في التفكير، وسألته: «بِمَ كنت تتحدث معه؟».

- لا شيء يدعوك إلى القلق.

وسمع الجميع الإعلان عبر جهاز الصوت بأن والد العروس سيلقي كلمته. فسكتت شارلوت، لكن ذهنها ظل مشوشاً.

قطع عليها صوت والدها خواطرها، وأعادها إلى الحاضر. بدأ والدها كلامه: «لست من النوع الذي يصلح لإلقاء الخطابات، كما تعلمون جميعاً. أنا مزارع، والمزارعون يكونون في أفضل حالاتهم وهم فوق جراراتهم، فيما تكون أفواههم مقفلة».

ضحك جميع الحاضرين باستثناء شارلوت، فقد كان فكرها مشغولاً بالرجل الجالس إلى جانبها، كما كانت أعصابها مشدودة.

- ومن الأفضل لنا أن نبقى في الريف أيضاً. لكنني لست مزارعاً فقط، بل أنا والد أيضاً. وتعلمون بأن الوالد مستعد لتقديم كل شيء لابنته. لكنني أستطيع أن أقول لكم الآن بأنني لم أشهد في حياتي يوماً أسعد من هذا اليوم.

كادت شارلوت تقفز عن كرسيها، عندما أمسك دانيال يدها وضغط عليها قائلاً: «حاولي أن تظهري أكثر سعادة».

وتابع هامساً في أذنها: «من المفترض أن تكوني مجنونة بحبي. اضحكي».

تمكنت شارلوت من إظهار ابتسامة أخرى على ثغرها، مع أن فمها بدأ يؤلمها

بسبب الابتسامات المتكلفة.

ضغط على يدها مرة أخرى وهو يقول: «حسناً، هكذا أفضل. لم يَبقَ لنا الكثير من الوقت قبل أن نذهب في سبيلنا. اصمدي».

وتابع والدها خطابه: «بالطبع، جميعنا نعلم بأن شارلوت لم تتبع مسار الفتاة الريفية. مرّت لحظات لم أظن فيها بأنني سأراها كما هي اليوم، عروساً متألقة. لهذا السبب أنا أشكر غاري. فلم تمر أكثر من عشر ثوانٍ على لقائي بصهري الجديد حتى أدركت السبب الذي جعل ابنتي شارلوت تقع في حبه. أما بالنسبة إليه... فهل سبق لكم أن رأيتم رجلاً بهذه الوسامة؟ أو غارقاً في الحب إلى هذه الدرجة؟».

صفق الجميع لوالد شارلوت وابتهجوا بكلامه، أما شارلوت فقد شعرت برغبة في البكاء.

- يقولون إن بإمكاننا الحكم على الرجل من خلال أفعاله لا من خلال كلامه. ومع أن غاري أبلغني برغبته في إبقاء الأمر سرياً، إلاّ أنني أود إبلاغكم بأن صهري الجديد ينوي دفع تكاليف حفل الزفاف هذا.

وتعالى التصفيق والابتهاج من جديد. ومع ذلك، ظلت شارلوت صامتة. فقال لها دانيال من زاوية فمه: «أوه... أوه. أنت لا تبدين سعيدة، ظننت أنك ستشعرين بالسعادة إذا لم ينفق والدك أمواله كلها».

- لكن ذلك ليس من ضمن اتفاقنا، كنت أنوي إعادة المال إليه بعد إبلاغه بانفصالنا.

وإذا ببراد يقول: «هيه، أنتما الإثنان. اصمتا».

صمت كلاهما، لكن شارلوت كانت تغلي بصمت في أعماقها. لو كان دانيال عريسها الحقيقي، لبدت تلك بادرة كريمة بشكل لا يصدق. لكن، في حالتها هذه، فقد شكت بأن تكون تلك كمحاولة الرشوة التي يتوقع صاحبها شيئاً في المقابل.

أثارت هذه الفكرة حنقها، إلا أنها جعلتها تشعر بالإطراء أيضاً. فمنذ بداية ملاحقته لها، تميز أسلوب دانيال بالهجومية. وبدا واضحاً بأن لا شيء سيمنعه من الحصول عليها.

أي امرأة يمكنها أن تتجاهل رجلاً يبدو مأخوذاً بها؟ ومع ذلك، فليس عليها أن تنسى أن الأمر لا يتعدى الانجذاب الجسدي. فالعابثون الأغنياء أمثال دانيال لا يتورعون عن القيام بأي شيء بغية تحقيق أهدافهم. وقد يتظاهر هؤلاء بأمور كثيرة ليست من طبيعتهم، لإقناع المرأة التي يلاحقونها بصدق نواياهم. حتى إن شقيقته حذرتها بأنه يتودد للفتيات ثم يتركهن بعد الإيقاع بهن.

حاولت شارلوت التمسك بغضبها الذي سببته أفكارها المنطقية، لكنها وجدت ذلك مستحيلاً، لأنها كانت تشعر بالحماسة أكثر فأكثر. لا شك أن لويزا على حق. فهذا الانجذاب الذي تشعر به نحوه كان يمنعها من التفكير في أي شيء آخر.

تابع والدها الكلام لدقائق أخرى، فراح يعطي النصائح عن ضرورة اعتماد الصبر للتوصل إلى زواج ناجح. ثم تمنى للجميع السعادة في حياتهم.

تمكنت شارلوت من وضع ابتسامة على وجهها، وهي تتمنى لو أن الاحتفال ينتهي بسرعة. فهي لا تطيق الانتظار للانفراد بدانيال، والتعرف على شخصيته أكثر فأكثر. كما كانت تتوق إلى عناقه، عناقاً لا يشبه ذلك الذي تم أثناء الاحتفال، بل كذلك الذي تم بينهما في صالة الفندق بالأمس.

بعد أن أخذ والد شارلوت مكانه، جاء دور براد ليتكلم. أجفلت شارلوت عندما وقف الرجل، فالله يعلم ما الذي يزمع قوله. لعلّه شيئاً محجلاً، بل من المؤكد أنه سيكون كذلك.

وبدأ براد كلامه: «إن مهمتي كإشبين اليوم هي محرجة قليلاً. فمن المفترض أن يكون الإشبين أفضل صديق للعريس، أو شقيقه الأكبر. أي شخص عرفه

لسنوات طويلة. أما أنا، فلم يمض على لقائي بهذا الرجل الوسيم سوى ساعات قليلة. في المرات السابقة التي كنت فيها إشبيناً، كان من السهل عليّ رواية بعض الأخبار البذيئة عن العريس، فأنا شخصياً لدي مثل هؤلاء الرفاق».

ثم ابتسم قليلاً وأضاف: «لكنني لا أستطيع القيام بذلك مع غاري الآن. إلا أنني أتصور بأن لا وجود لمثل تلك الأخبار في ماضي هذا الرجل. وقد أخبرنا والد شارلوت بأنه أدرك على الفور أي نوع من الرجال هو صهره، وأنا أشعر بالأمر نفسه».

وبعد أن وضع يده على كتف دانيال، تابع يقول: «هذا الرجل الجالس هنا هو من الرجال الطيبين. إنه صاف كالبلور كما يقال. وقد أخبرته عندما كنا نرتدي ملابسنا بأنه سوف يكون زوجاً رائعاً لعروستنا الجميلة، وأنا أعني ما أقول. وبالمناسبة أقول بأنها جميلة حقاً، ألا توافقونني الرأي؟».

اندفع الحضور بتصفيف وابتهاج كبيرين، إلا أن شارلوت تنهدت. فهذا الحديث ليس سوى تعذيباً لها.

– لكن مهمتي ليست الحديث عن العروس، فهذه مهمة غاري. أما أنا، فسوف أتحدث عن إشبينة العروس. وهذه ليست بالمهمة الصعبة، لا سيما أننا متحابان.

وبعد أن غمز لويزا بطرف عينه، أضاف: «قد أكون متحيزاً، لكنني أقول بأنه لم يسبق لي أن رأيت إشبينة أجمل منها. أما ذلك الفستان... يا لروعته! أنصحك بالمواظبة على ارتداء ثياب زرقاء اللون، مع أنني، في الواقع، أحب أن أراك بالفستان الأبيض».

دوّت أصوات التصفيق والاستحسان في القاعة. وعلا الاحمرار وجه لويزا، وذلك للمرة الأولى في حياتها.

لم ترفع شارلوت نظرها إلى الأعلى لترى دانيال عندما وقف ليلقي خطابه، بل أبقت نظراتها مركزة على آخر الصالة.

بدأ دانيال خطابه قائلاً: «على العكس من براد، الذي حضر العديد من

حفلات الزفاف، فأنا لم أحضر شخصياً أياً منها. لذا أرجو منكم أن تعذروني إذا كان خطابي لا يتبع القواعد المألوفة. أولاً، وقبل كل شيء، أود أن أشكر إشبيني لقيامه بهذا العمل الرائع اليوم، كما أود أن أشكر العزيزة لويزا لما أظهرته من مساندة وصداقة لشارلوت. كذلك أود أن أشكر أسرة غايل على استقبالي في ما بينهم بتلك الطريقة الرائعة. وأصدقكم القول، بأنني لم ألتقِ بأناس مثلهم من قبل. أما شارلوت، فهي محظوظة جداً بمثل هذين الوالدين الرائعين».

قاومت شارلوت دافعاً قوياً لإغماض عينيها. يا للسماء! هل يتعيّن عليه أن يشدد كثيراً على ما يقوله؟ وبالطبع، يظن أقرباؤها بأنه الرجل المنقذ، لأنه انتشل شارلوت المتعبة من قائمة النساء العازبات، آه، ليتهم يعرفون!

تنهدت شارلوت، ثم ارتكبت خطأ كبيراً عندما نظرت إلى الأعلى، باتجاه دانيال. إذ سرعان ما بادلها الابتسام، ووجدت أنها لا تستطيع الإشاحة ببصرها بعيداً عنه. ظلت نظراتها مسمّرة عليه، وهي تشعر بأن أحشاءها تكاد تذوب. فهي تشعر بالضعف عندما يبتسم لها بهذه الطريقة. أحسّت أنها ضعيفة ويائسة.

وتابع دانيال يقول بهدوء وهو يركز نظراته عليها: «ماذا يمكنني أن أقول بشأن شارلوت؟ إنها جميلة، لا شك بذلك. إلا أنها أكثر جمالاً من الداخل منها من الخارج. قد يبدو هذا الكلام مبتذلاً، لكني أؤكد لكم أنه حقيقي. إنها امرأة مميزة، ومن يتخذها زوجة له هو رجل محظوظ، بل مميز أيضاً. ومن المؤكد أن حياتي لم تعد هي ذاتها منذ اللحظة التي التقيت بها. في الواقع، كان براد مخطئاً حين قال إن ليس هناك قصص شنيعة في ماضيّ، أؤكد لكم أن هناك فعلاً مثل تلك القصص. لكنها قليلة جداً، ولن يكون هناك سواها بعد اليوم. فأنا قد تغيّرت كرجل، وشارلوت هي التي غيّرتني».

وأخيراً حوّل نظره عنها، ووجدت شارلوت نفسها تطلق الهواء المحتبس في رئتيها.

همست لويزا في أذنها: «لو لم أكن أعرف الحقيقة، لقلت بأنه يعني كل كلمة قالها».

كادت شارلوت تغرق في الضحك، فهي تتمنى لو كان الأمر كذلك.

إنه ممثل بارع. هذا كل ما في الأمر. بل هو ممثل ممتاز. لا شك أنه يبدو متفجراً بالحركة داخل قاعات المحاكم التي يترافع فيها.

وجه دانيال بصره باتجاهها مرة أخرى. وفوجئ بالسخرية التي تلوح في عيني شارلوت. ما الذي يدور في رأس تلك الفتاة، بحق السماء؟

بالطبع، لقد توقع أن تشعر بالقليل من التعاسة اليوم، وربما ببعض المرارة أيضاً، لكن نحو غاري لا نحوه هو. فهو كان يحاول، طيلة الوقت، أن يكون رجلاً طيباً، تماماً كما قال عنه براد.

من المحتمل أنها لم تحبذ فكرة دفعه لتكاليف حفل الزفاف. ولا شك أن كبرياءها هي السبب، فشارلوت هي من النوع الفخور.

حسناً، هذا أمر سيء، لأنه أحب من كل قلبه أن يريح أسرتها من دفع ذلك المبلغ الباهظ، وهو قادر تماماً على ذلك. وهذا الأمر سيجعل الجميع سعداء. أما إذا اختارت شارلوت أن تنظر إلى الأمر بغير هذا المنظار فهذه مشكلتها.

عندما جلس في مكانه، لكزه براد في خاصرته قائلاً: «عليكما أن تتجها الآن لقطع قالب الحلوى».

تأوه دانيال وهو يشعر بالضيق. متى سينتهي ذلك كله؟

وقف الجميع بينما وضع دانيال يده على مرفق شارلوت، وهما يتجهان إلى الطاولة حيث وضع قالب الحلوى ذو الطبقات الثلاث. كان الجميع يبتسمون فيما انهمك المصورون بالتقاط المزيد من الصور.

وعلا صوت أحدهم عبر مكبر الصوت: «والآن، ليتقدم العريس والعروس من المنصة لأداء رقصة الفالس الخاصة بالعروسين».

أجفل دانيال. فهو بالحقيقة قد سمع قبل الآن برقصة الفالس الخاصة بالعروسين، وكان يعتقد أنها مجرد رقصة عادية. أما الآن فهو يشعر بأنها مليئة بالمخاطرة. إذ يتعين عليه أن يأخذ شارلوت بين ذراعيه، ويقربها منه. والله وحده يعلم ما الذي سيحدث بعد ذلك.

تردد دانيال قليلاً، مع أن الموسيقى بدأت تصدح في المكان.

قالت العروس والوميض اللاذع يشع من عينيها: «أنت تجيد الرقص، بالتأكيد».

رمى التردد جانباً، وغمرها بذراعيه ليسحبها معه إلى حلبة الرقص، حيث بدأ بمراقصتها بسهولة ورشاقة.

دلت مخاوفه بشأن الرقص مع شارلوت على أنها صحيحة. فما إن لفّ إحدى يديه حول خصرها، وأمسك بيدها الصغيرة الدافئة بيده الأخرى حتى شعر بالارتعاش الشديد يجتاح جسده.

وفكر أن شارلوت لن تشعر بشيء من اضطرابه بسبب فستانها ذي التنورة الواسعة وكميات القماش المضافة إليه. راح يبتسم بسخرية وهو يتابع الرقص مستمتعاً بالأحاسيس التي يشعر بها.

سرعان ما توجهت إليه شارلوت بالسؤال: «تبدو مستمتعاً بالأمر، أليس كذلك؟».

قربها منه أكثر وأجابها: «سأكون أكثر سروراً عندما ينتهي هذا الحفل».

وكان جوابه هذا كفيلاً بإسكاتها. وما لبث أن سألها بدوره: «هل أعطيت الحمّال حقيبتك، كما اتفقنا؟». أجابت شارلوت بأنفاس مكتومة: «نعم».

أراد دانيال أن يسير كل شيء على ما يرام، فقال: «جيد».

وإذا بها تسأله: «أي من أجنحة العرائس قمت بحجزه؟».

لم يكن هناك سوى جناح واحد غير محجوز، وهو الأغلى.

أجابها: «جناح الليالي العربية».

استطاع دانيال سماع شهقتها، واجتاحته موجة من الشعور بالانتصار.

www.elromancia.com

١٠ ـ على أجنحة الخيال

شهقت شارلوت وأصابتها غصة ما إن سمعت بجناح الليالي العربية.

ومع ذلك تمكنت من متابعة رقصة الفالس، وإكمال بقية الحفل. كما ابتسمت في وجه أقاربها عندما تقدموا منها مهنئين، وشكرتهم على هداياهم. تلك الهدايا التي وضعوها على طاولة ضخمة في آخر صالة الاستقبال.

سألتها لويزا لمرات عدة إن كانت بخير، فكانت شارلوت تجيبها دوماً بأن كل شيء على ما يرام. إلا أنها، في الواقع، لم تكن على ما يرام. إذ لم تفارق صورة ذلك الجناح المترف خيالها؛ فقد سبق لها أن ألقت نظرة على كل أجنحة العرائس في الفندق. وهكذا، فهي تعرف بالضبط ما الذي يعنيه جناح الليالي العربية. هذا الجناح ليس فقط الأكثر كلفة، لكنه الأكثر فخامة والأشد إثارة للخيال بما يحتويه من أثاث وهندسة داخلية مميزة.

في الوقت الذي احتضنتها فيه أمها مودعة، وهي تمسح دمعة سقطت من عينيها، كان توتر أعصاب شارلوت يزداد أكثر فأكثر. وقال والدها لدانيال وهو يصافحه: «اهتم بها لأجلنا، يا غاري».

ثم أضاف وهو يحتضن ابنته: «وأنت، اهتمي بزوجك يا شارلوت».

أجابته شارلوت بصوت متهدج: «سأفعل ذلك يا أبي».

- والآن اذهبا أنتما الإثنان، واستمتعا بشهر عسل عظيم. ولا تقلقي بشأن هدايا عرسك فقد قالت لويزا وبراد إنهما سيأخذانها إلى المنزل ويعتنيان بها. أما أنا ووالدتك فسنمضي في الصباح، وهكذا من الأفضل أن نودعكما الآن. اتصلا بنا عندما ترجعان من شر العسل.

وعده دانيال بأن يفعلا ذلك.

لحسن الحظ، كانت هناك مجموعة من المصاعد خارج مدخل الصالة مباشرة، حيث يستطيع العروسان أن يسرعا باتجاهها وسط ابتهاج وتصفيق المدعوين. ولحسن الحظ أيضاً، أن المصعد الذي وقع اختيارهما عليه كان خالياً. وسرعان ما صعد بهما إلى الطابق العاشر.

عندما انفتحت أبواب المصعد، ظلت متمسكة شارلوت بالمقابض النحاسية المثبتة على جدرانه، والموضوعة عند مستوى اليدين. فسألها دانيال: «هل أنت بخير؟».

لاحظت شارلوت بأنه بدا قلقاً وهو يتحدث إليها.

- سأكون بخير. لعلي أشعر بالدوار بسبب المصعد.

- استندي على يدي.

ما إن فعلت كما أمرها حتى ابتسمت ابتسامة ساخرة: «هل تحاول الاعتناء بي؟».

كشّر دانيال قائلاً: «بالتأكيد، وباستطاعتك الاعتناء بي في ما بعد».

فجأة، غمر شارلوت شعور بالرعب، ذلك أنها أدركت ما يعنيه دانيال. فهو، دون شك، يتوقع منها أن تكون امرأة نموذجية، ذات خبرة، وواثقة من نفسها.

- دانيال، أنا... هناك أمر أود أن أقوله لك.

قالت ذلك وقد أدركت أن عليها أن تحذره، وتشرح له بأنها ليست خبيرة في العلاقات الحميمة مع الرجال.

قال لها بنعومة: «لست مضطرة لأن تقولي أي شيء، يا جميلتي».

ثم جذبها إلى ذراعيه، وتابع قائلاً: «هذه الليلة هي مسؤوليتي أنا وليس مسؤوليتك. ليس عليك أن تفعلي شيئاً. انتظري فقط».

غمرتها كلماته بموجة من الارتياح، وفكرت بأنها لو أخبرته بأنها عديمة

الخبرة فسوف تفسد كل شيء.

قال دانيال بسخرية: «لا أظن أن من المناسب أن أعانقك الآن. من الأفضل أن نؤجل ذلك إلى أن نصبح خلف الأبواب المغلقة».

شعرت شارلوت برجفة تجتاح كيانها، وقالت موافقة: «يبدو لي أن الأبواب المغلقة مناسبة أكثر. هل حصلت على مفتاح الجناح؟».

قال وهو يربّت على جيبه: «إنه هنا».

- هل أتيت سابقاً لتفقد هذا الجناح قبل أن تحجزه؟

- لا، هل كان عليّ القيام بذلك؟ هل هناك خطب ما؟

أنكرت شارلوت قائلة: «لا، على الإطلاق».

لكنه كان على وشك تلقي مفاجأة، وتمنت أن تعجبه تلك المفاجأة. فهي قد أعجبت بها بكل تأكيد، على الرغم من رهبتها في البداية.

رأى دانيال الوميض الذي يشع من عينيها، وتساءل عما ينتظره. مهما كان [illegible]، فهو واثق من أنه سيعجبه. كل ما يرضي شارلوت إلى هذا الحد سيلاقي إعجابه حتماً، جناح الليالي العربية هو الجناح الأول في الممر المغطى بالسجاد، وقد كتب اسم الجناح بأحرف مذهّبة على بابه. أدخل دانيال البطاقة البلاستيكية، وانتظر الضوء الأخضر. ثم أدار المقبض النحاسي، وبعد ذلك دفع الباب الثقيل نوعاً ما كي يفتحه. وسرعان ما اختفت الظلمة داخل الجناح، وأضيئت الأنوار بصورة آلية.

لم يستطع منع نفسه من الهتاف: «يا إلهي القدير!».

- أكنت تظن أن المصابيح هنا ستكون مدلاة من السقف؟

سألته ذلك وقد بدت محبطة جراء ردة فعله.

- لا، لا، إنها رائعة!

أشرق وجهها بالسعادة فازداد بهاء عما كان عليه من قبل. وقالت بحماسة وهي تجره عبر البهو ذي الأرضية الرخامية: «تعال، لترى البقية».

كان البهو مسقوف على شكل قبة على الطراز المغربي المزخرف، هناك، كان الرخام مغطى بسجادة حمراء مخملية من النوع الوثير الذي تغرق فيه القدم.

قال دانيال: «هذا السجاد مدهش جداً».

إنه يضفي على المكان جواً حميماً، وكذلك كانت الأرائك! فقد وضعت ثلاثاً منها بشكل دائري حول طاولة قهوة مستديرة داكنة اللون، وضع فوقها صحن كبير مليء بالفواكه الطازجة. وقد تدلّت خلف الأرائك ستائر زرقاء كلون المحيط في جزيرة تاهيتي.

أما النافذة التي تصل من الأرض إلى السقف، فتطل على منظر واسع وشامل لأفق المدينة. لم يكن هناك مصابيح مدلاة من السقف، بل توزعت في نقاط متفرقة ووضع بعضها على الجدران. وكلها ذات لون ذهبي ومنظر فخم.

قالت شارلوت: «أنظر إلى السقف».

جال دانيال ببصره من الجدران الزرقاء اللون إلى السقف الذي يعلو كثيراً في وسطه، فإذا هو موشى بالحرير الأسود المذهب الحواشي.

أدرك دانيال على الفور لما يكلف هذا الجناح ثروة من المال.

- إنه مكان مناسب لإقامة أمير.

- هذه هي الفكرة. فمن المفترض بهذا الجناح أن يثير خيالات الناس.

سألها وهو يقترب منها ليجذبها نحوه مرة أخرى: «وهل يراود خيالك أي أمير؟».

شهقت شارلوت عند ملامسته لها وقالت: «ربما، إذا ما كنت أنت ذلك الأمير».

أحب دانيال هذه الفكرة، فهمس في أذنها: «هل تمانعين بأن استخدم خيالي أنا أيضاً هذه الليلة؟».

شعرت بأن قلبها يتراقص في داخلها وهي تقول: «لا أظن بأني سأمانع بأي شيء عندما أكون معك».

كبح دانيال أنيناً كاد يصدر عنه. ألقى نظرة على غرفة النوم، ولاحظ أنها تجعل من غرفة الجلوس الفاخرة تبدو في غاية الرصانة. قال بنبرة آمرة ملؤها الثقة: «تعالي، سوف نأوي إلى المخدع».

- انتظر حتى تراه!

حاول كبح شهقته، يا للروعة!

قالت شارلوت وهي تطلق ضحكة صغيرة ملؤها التوتر: «أنا واثقة من أن العرسان يحبون هذا الجناح».

فكر دانيال بأنها على حق، فلا شك أن الكثيرين أمضوا شهر العسل فيه. راح يتأمل السرير المرتفع ذا الأعمدة الأربعة، والذي تحيط به ستائر شفافة بيضاء اللون، متنقلاً بنظره إلى السقف المليء بالمرايا. كما لاحظ أن السجاد في هذه الغرفة وثير أكثر من الغرفة الأخرى إلا أنه أخضر اللون كأنه الزبرجد. أما عدا ذلك، فكل ما في الغرفة هو أسود اللون أو أبيض أو فضي.

- هناك الكثير من الفضة هنا.

علّق دانيال بذلك بعد أن لاحظ أن ورق الجدران مصنوع من الفضة، وكذلك إطارات المرايا، كما لاحظ الخيوط الفضية التي تزين اللحاف الحريري الأبيض، ثم تابع قائلاً: «لكنني توقعت أن يكون هناك الكثير من الذهب».

فقالت شارلوت: «زوّد الحمام بأطقم من الذهب، لتتناسب مع الرخام الأسود، كما أظن».

- قيل لي إن الجناح يضم مغطساً أيضاً.

- نعم، وهو مغطس كبير جداً.

وعلا الاحمرار وجهها على ذكر المغطس. لكن دانيال لم يفسر الأمر على أنه راجع إلى الخجل. وقرّر أن أي تأخير لن يكون نافعاً، فاتجه نحوها.

وضع يديه بنعومة حول كتفيها، ثم انزلقت ذراعاه من حولها. وعلى الفور تجاوبت شارلوت معه، بعد أن أغمضت عينيها وهي تستند عليه باستسلام.

ظنت أن عناقه لها في بهو الفندق قوياً بما يكفي، إلا أنه لم يكن شيئاً بالمقارنة مع عناقه هذا. إذ شعرت بزلزال يهز كيانها.

فجأة ابتعد دانيال عنها، فشعرت بالذهول والاحباط. وعندما فتحت عينيها وجدت أنه قد ابتعد خطوة إلى الخلف وراح يمرر يده في شعره باضطراب. بدا وجهه شديد الاحمرار وتنفسه قوياً.

سألته على الفور: «ما خطبك؟».

حدّق فيها ثم راح يهز رأسه قبل أن يطلق ابتسامة ساخرة ويقول: «كنت متسرعاً جداً».

- لكن ذلك أعجبني.

- لن يعجبك الأمر في النهاية.

- كيف عرفت؟

- أعرف ذلك.

ثم أطلق ابتسامة ساخرة من ابتساماته المعهودة وقال: «الأمراء وحدهم يعرفون هذه الأمور. والآن، أقترح ثياباً تجعلك أكثر ارتياحاً. أعتقد بأن حقيبتينا موجودتان في حجرة تغيير الملابس، قرب غرفة الحمام. هذا ما قالوه لي».

لم تشعر شارلوت بالرغبة في القيام بمثل تلك الأشياء. فكل ما كانت تريده هو البقاء معه والاستسلام لعناقه. لكنها لن تعارضه.

- لن أتأخر عليك.

قالت ذلك وهي تسرع في الدخول إلى الحمام وتغلق الباب وراءها.

صدمتها صورتها في المرآة الضخمة الموجودة هناك.

كانت لويزا تقول لها على الدوام بأنها تمتلك جسداً رائعاً. أما هي فتعتقد بأن جسدها مقبول لكنه ليس رائعاً. فردفاها عريضان قليلاً، ومع ذلك فإن الأمر لا يؤثر على تناسق جسمها.

لكنها نشأت في منزل متواضع، حيث لم يكن يسمح لها بالتباهي بنفسها. والظهور بملابس مكشوفة كان يمثل بالنسبة إليها مشكلة على الدوام.

واستغربت أنها لم تشعر بخجلها المعتاد مع دانيال. وفكرت أن لويزا على حق. ما تشعر به نحوه هو عبارة عن الانجذاب، ولا يمكن أن يكون حباً على الإطلاق.

شعرت بالتحرر لتفكيرها هذا. فهي لا تريد الوقوع في حب دانيال. وضعت قبعة الاستحمام فوق رأسها لتحمي شعرها، ودلفت بسرعة إلى المغطس.

وما إن أنهت حمامها حتى تخلصت من القبعة وارتدت رداء الحمام الطويل. وعندما فتحت باب الحمام لتخطو باتجاه الغرفة، وجدت أن دانيال يقف هناك كأنه لا يطيق صبراً على غيابها.

- لم أتوقع أن تنهي حمامك بهذه السرعة.

قال دانيال ذلك وهو يقترب منها. جعلتها المفاجأة تشعر بجفاف في فمها. وما لبث أن ضمها بين ذراعيه بحركة خاطفة، فيما راحت يده تعبث بشعرها.

- انتبه لشعري!

- لا تقلقي بشأن شعرك. بل ليس عليك أن تقلقي لأي شأن هذه الليلة.

نصحها بذلك وهو يجذبها نحوه بقوة، لكن ليس بقسوة كما فعل سابقاً.

سألته بأنفاس متقطعة: «ألن تدخل كي تأخذ حماماً؟».

عبس في وجهها قليلاً، ثم أجابها: «هل تريدينني أن أقوم بذلك؟

- نعم.

- يا للسماء، يا شارلوت!

- ماذا حدث؟

- يجب أن تتوقفي عن فعل ذلك بي.

- ماذا تعني؟

- أنت تجعلينني أضيّع خططي. فأنا الأمير هنا، وأنت عروستي المخطوفة. وعليك أن تفعلي ما أقوله لك.

- أحقاً؟ وماذا لو رغبت بغير ذلك؟

قالت ذلك وهي تدرك تماماً أنها مستعدة للقيام بكل ما يطلبه منها دون أي اعتراض.

- لعلك لم تلاحظي بأنني لا أطيق انتظاراً وأريد أن أبقى بقربك.

ذكرها كلامه بحقيقة مؤلمة، فقالت: «من الأفضل ألا تعتاد على الأمر كثيراً. فزواجنا سوف ينتهي صباح يوم غد».

كرّر جملتها الأخيرة بصوت مرتعش ثم قال: «لا ضرورة لاخباري بذلك يا شارلوت».

- لِمَ لا؟

- لأن الرجال أنانيون في العادة، ويريدون الاحتفاظ لأنفسهم بكل ما يسرّهم. لكنهم يكون أحياناً من الغباء بحيث لا يستطيعون ذلك. وعندها قد يلجأون إلى مختلف الوسائل للوصول إلى أهدافهم.

- لكنني أثق بك، وأعلم بأنك لن تكذب بالنسبة إلى أمر خطير كهذا.

- يا إلهي يا امرأة!

- ماذا؟

هز رأسه بنفاد صبر، ثم قال: «لا شيء. ستكون تلك تجربة جديدة بالنسبة إلي».

- ماذا تعني؟

www.elromancia.com

- أعني، مجرد وجودي مع امرأة مثلك.

- ماذا تعني بذلك؟

- يا إلهي! اصمتي الآن ودعيني أعانقك.

صمتت شارلوت وسمحت له بمعانقتها، ومرة أخرى انفتح فمه بالكلام، فيما عيناه تطلقان تحذيراً في اتجاهها. دمدم قائلاً: «أشعر أنني لا أستطيع الابتعاد أيضاً».

شعرت شارلوت بقلبها يتراقص بين ضلوعها، وراح صدرها يعلو ويهبط، إذ كان هذا هو شعورها أيضاً.

وفجأة، تذكرت أن ذلك كله يحصل معها بسبب انجذابها الشديد إلى هذا الرجل، هذا الرجل الذي ستنقطع علاقتها به صباح يوم غد. لذا عليها ألا تظهر ضعفها بل يجب أن تتماسك وتظهر بعض القوة.

همس دانيال في أذنها: «ما رأيك بالذهاب إلى السرير؟».

استدارت شارلوت مبتعدة قليلاً: «لا أريد الذهاب إلى السرير».

إنها تخشى الاستغراق في عواطفها وأحاسيسها إلى حد تندم عليه في ما بعد. أرادت أن تأخذ بعض الوقت كي تهدأ مشاعرها، وتابعت تقول: «أفضل أن نجلس لبعض الوقت».

أجفل دانيال قبل أن يقول: «لا أظنها فكرة جيدة الآن بالذات».

شبكت شارلوت ذراعيها فوق صدرها، وقالت بإصرار: «لكنني أريد ذلك، كما أنك بحاجة إلى الاستحمام».

تأوه دانيال وقد شعر بالإحباط. إلا أن كبرياءه الذكورية لم تسمح له بالتوسل، ومع ذلك قال: «وما الذي أحصل عليه عند خروجي من الحمام؟».

ردت بابتسامة ساخرة: «ما رأيك بفنجان من القهوة؟».

كشر دانيال مبدياً خيبة أمله. لقد خطط لأن يكون هو السيد هنا، وهي

التلميذة. إلا أنه وجد نفسه منقاداً لها وأكثر رغبة في إرضائها. ومع ذلك شعر بالسعادة لمجرد وجودهما معاً. سوف يتحلى بالصبر ليصل إلى قلب شارلوت الحلوة.

عانقها عناقاً سريعاً ودخل إلى الحمام.

www.elromancia.com

١١ - فرصة أخرى.. للحب!

سألت شارلوت وهي تتطلع نحو دانيال: «كيف تحب قهوتك؟».

كان دانيال ممدداً على إحدى الأرائك، وهو يتناول بعض حبات العنب. بينما غطت منشفة الحمام الجزء الأسفل من جسمه. أما شارلوت فترتدي رداء الحمام الخاص بالفندق. ومع أن نظرها وقع، في وقت سابق، على حقيبتها في غرفة الملابس، إلا أنها لم تكلف نفسها عناء فتحها.

أجابها: «سوداء مع قطعة واحدة من السكر».

- آه! ليتني حملت معي ربطة شعر مطاطية!

تمتمت بذلك وهي تسكب القهوة في فنجان دانيال، وتابعت تقول: «ليتني أستطيع إبعاد هذا الشعر عن وجهي».

فشعرها الذي عبثت به أصابع دانيال لم يعد مرتباً كما كان من قبل، بل صار عبارة عن كتلة من الموجات العاصية التي تنفلت لتحجب إحدى عينيها طيلة الوقت. راحت تدفعه إلى الخلف وتحاول تثبيته خلف أذنها، لكن دون جدوى.

- لا تكوني سخيفة، فشعرك يبدو عظيماً هكذا. إنه مثير جداً، مثلك تماماً.

علا الاحمرار خدي شارلوت وشعرت بالخجل. ثم سألته: «أتعتقد، حقاً، بأنني امرأة مثيرة؟».

- وهل تشكين بكلامي؟

حملت فنجاني القهوة ووضعتهما على الطاولة السوداء الصغيرة، ثم قالت

معترفة: «أشعر أنني مختلفة تماماً وأنا معك. فليس من عادتي أبداً أن أنجرف وراء مشاعري وأحاسيسي. في الواقع... لم أفعل ذلك في السابق مطلقاً».

لكن الأمر مختلف مع دانيال، وهذا ما جعلها تشعر بالاندهاش، لقد شعرت بمزيج من الشوق واللهفة معاً. ولا شك أن ذلك كله جعلها ترمي خلفها تلك المرأة المتحفظة وتتحول إلى امرأة فاتنة.

قال دانيال وهو يرفع فنجان قهوته: «إنك تفاجئينني باستمرار يا شارلوت».

وتشابكت عيونهما. يا الله! إنه يملك عينين رائعتين، أما جسمه... فلا بأس به أيضاً!

وضع دانيال فنجان قهوته على الطاولة، وتأملها ملياً وببطء شديد.

- إنك جميلة!

ذلك هو كل ما تلفظ به، ومع ذلك، جعلتها هذه العبارة ترتعش بقوة.

وكأن دانيال أراد أن يمنحها فرصة لتتخلص من توترها، فاقترح قائلاً: «لِمَ لا تجلسين وتنهين قهوتك؟».

هذا الاقتراح الذي قدمه لها ببرودة أعصاب، أكّد لها شكوكها. فدانيال هو أكثر تعقيداً من أي رجل التقته من قبل.

لعل ذلك ما جعلها تشعر بالانجذاب نحوه إلى هذا الحد. فالأمر لا يتعلق فقط بوجهه الوسيم وجسمه المتناسق، بل بمعرفته التامة لكيفية القيام بالأشياء، وتلك الثقة المطلقة التي ترافق كل ما يقوم به.

ألم تقل لها لويزا إن هذا ما يلزمها بالضبط؟ رجل أكبر منها وذو خبرة كبيرة في مختلف الأمور.

ومع أن دانيال لا يكبرها كثيراً في السن، لكنه، بالتأكيد، أكثر خبرة منها. لذا، فمن السخافة أن تضيع على نفسها لحظة واحدة من التمتع بقربه.

بدت نبرة صوتها واثقة وهي تقول: «لا أظن بأنني أريد المزيد من القهوة».

رفع دانيال أحد حاجبيه، فيما وضع فنجان القهوة من يده وربت على الأريكة بقربه قائلاً: «في هذه الحالة، من الأفضل أن تقتربي مني، ألا تظنين ذلك؟ تعالي واجلس بقربي».

اقتربت إلى حيث أشار لها. شعرت بجفاف في حلقها وبتسارع في نبضات قلبها، كما شعرت بتقلص في معدتها وهي تجلس إلى جانبه. تجنبت النظر إليه وكأنها تخشى من التقاء عيونهما. لكن دانيال سرعان ما أمرها قائلاً: «لا تنظري بعيداً، بل انظري إلي».

قال ذلك وهو يحيط وجهها بكفيه ويديره نحوه. والتقت نظراتهما...

أخذت شارلوت نفساً عميقاً، وسألته: «ماذا بعد؟».

قطب حاجبيه وقال: «ألا تعلمين، حقاً؟».

- أنا لست سوى فتاة ريفية.

لم تصدق أن بإمكانها الظهور بهذا المظهر الهادئ، والتمتع بصفاء التفكير في لحظات كهذه. لا شك أن ذلك يعود إلى حرصها على ترك انطباع جيد لديه. حتى لو لم تكن خبيرة في العلاقات مع الرجال، إلا أن بإمكانها أن تتعلم على الأقل.

قربها دانيال منه وعانقها، فالتفت ذراعاها بصورة تلقائية حول كتفيه. أغمضت عينيها وهي تشعر بأحاسيس رائعة تملأ كيانها. وفهمت شارلوت، للمرة الأولى، ما معنى الانسجام بين شخصين.

تمتم دانيال برقة: «إنك فتاة ريفية رائعة، بل في منتهى الروعة».

وعندما شدها إلى صدره ليقربها منه أكثر، تأوهت شارلوت بعمق وارتياح: «هذا يكفي، تعالي لنذهب إلى السرير».

غمغمت شارلوت: «لا أريد الذهاب إلى السرير».

- لا تقلقي، سيكون الأمر رائعاً.

- أخشى... أخشى أن أخيب أملك.

- أنا واثق أن ذلك لن يحصل مطلقاً. هيا أيتها الفتاة الكسولة.

- حاضر، سيدي.

استيقظت شارلوت ببطء، وقد صحت من نوم عميق، كأنه يجرها إلى شرنقته الأبدية. تثاءبت، وتمطت، وأخيراً فتحت عينيها.

أول ما وقعت عليه عيناها هو صورتها في مرآة السقف. كان دانيال مستلق إلى جانبها وهو يغط في نوم عميق. كان ممدداً على السرير، وجهه إلى الأسفل تحت غطاء من الساتان الأبيض، فيما كانت ذراعاه مطويتين تحت الوسادة الوثيرة، حيث يضع رأسه.

ألقت نظرة سريعة على ساعة يدها، فإذا بها تشير إلى الساعة العاشرة والدقيقة العشرين. لم يكن هذا بالوقت المتأخر، نظراً لأنها ظلت مستيقظة معظم الليلة السابقة.

ويا لها من ليلة!

لو لم تكن في تلك اللحظة بالذات تنظر إلى صورة دانيال التي انعكست في المرآة، لظنت بأن ما جرى هو مجرد حلم لا أكثر. استدارت لتطبع قبلة على كتفه القريبة منها، وهي تمسد شفتيها على بشرته بلطف.

لقد كان رائعاً الليلة الماضية. في الواقع، لعب دانيال دور الأمير بأفضل مما كانت تتخيّل. بدا كأنه يعرف كيف ينسيها ماضيها بأكمله. فمعه لم تجد في نفسها أية دلائل على الحبيبة الجبانة، الخائفة التي كانتها عبر السنين.

ودّت لو أنها تبقى في السرير، لكن الوقت كان يداهمهما، فللضرورة أحكام. بالطبع، اقترح دانيال في إحدى اللحظات السعيدة أن يرافقها إلى وادي هنتر، وبالطبع، لم تستطع هذه المرة مقاومته.

شعرت بالقلق في قرارة نفسها من أن تتعمق تلك المشاعر التي اكتشفتها مؤخراً في أعماقها، فتغدو شيئاً آخر أكثر خطورة. لكن بقاءها مع دانيال لمزيد

من الوقت يستحق المخاطرة، مع أنها قد تعرّض نفسها لنوبات من العذاب في ما بعد.

لم تكن شارلوت واثقة من وقت مغادرة الفندق، لكنه، على الأرجح، حوالى الثانية عشرة. وذلك لا يترك لها الكثير من الوقت. بالإضافة إلى ذلك، أرادت أن تكون جاهزة من أجل دانيال قبل أن يستيقظ.

تسللت خارج السرير، حريصة على ألاّ توقظه، ومشت على أطراف أصابعها لتصل إلى الحمام.

استيقظ دانيال على صوت تدفق المياه في الحمام. انقلب على أحد جانبيه ليلقي نظرة على ساعة يدها الموضوعة على الطاولة الصغيرة السوداء اللامعة، فإذا بها تشير إلى العاشرة والنصف.

عليهما مغادرة الفندق عند الثانية عشرة. إذن، لديهما الوقت الكافي لتناول فطور محترم. لا شك بأن قسم خدمة الغرف في الفندق جاهز لتلبية طلباتهما، فهما يقيمان في أفخم جناح للعرائس هنا.

ارتسمت على وجهه ابتسامة وهو يرفع سماعة الهاتف الموجودة قرب السرير. كانت شارلوت قد وافقت على مجيئه معها إلى وادي هنتر، ما يعطيه أياماً إضافية لإقناعها بأنه يريدها لأكثر من مجرد علاقة عاطفية عابرة في العطلة. وتساءل إذا ما كانت مستعدة للذهاب معه إلى أميركا، والعيش هناك..

ما إن ضغط على الزر السادس في الهاتف حتى تسلل صوت امرأة عبر السماعة: «هنا إدارة خدمة الغرف».

- السيد بانيستر يتكلم من جناح الليالي العربية. أريد أن أطلب فطوراً لنا.

- بالطبع، سيد بانيستر. ما الذي تفضله؟

- نريد عصير برتقال طازج، بايكون مع البيض، توست كامل، وقهوة سوداء.

- حاضر، سيد بانيستر. متى تودان تناول الفطور؟

- عند الساعة الحادية عشرة.

هذا يعطيه وقتاً كافياً للاستحمام وحلاقة ذقنه.

- حسناً، سيدي.

أقفل دانيال الخط، ثم نهض من السرير وراح ينظر حوله بحثاً عن شيء يرتديه، إلا أنه لم يجد سوى الثياب التي كان يرتديها البارحة. إذ ما زالت حقيبته في غرفة الملابس، والطريق الوحيد للوصول إلى هناك يمر بالحمام. ولأنه لم يرغب بأن يجفلها، سار إلى غرفة الجلوس حيث ترك منشفة الحمام مساء.

ما إن رفع المنشفة عن الطاولة حتى عادت إلى ذهنه ذكريات الليلة الماضية. شعر بتوتر في صدره عندما تذكر أن شارلوت لن ترضى باستمرار هذا الزواج ما لم يرغب هو بإنجاب الأطفال، فهي لن تقبل بشيء أقل من ذلك.

أحسّ أنه واقع في مأزق، فهو لا يرغب أيضاً بالالتزام بالزواج من أي امرأة، بغض النظر عن مدى حبه لها!

فجأة، تجمد في مكانه. الحب... لقد أحبها!

وسمع في داخله صوتاً ساخراً يقول: بالطبع أحببتها أيها المغفل. وهذا هو السبب الذي دفعك إلى التصرف بالطريقة التي تصرفت بها. ألم تلاحقها بجنون وتوافق على الدخول في لعبة هذا الزفاف المزيف؟

ما من رجل يفعل ذلك إلا إذا كان واقعاً في الحب!

تهالك دانيال على أقرب أريكة، وغمره شعور بالذهول. اعترافه بأنه يحبها غيّر في داخله شيئاً ما، وأجبره على مواجهة مخاوف أكبر بكثير من مخاوف زواجه.

ماذا لو لم تبادله شارلوت الحب؟ ماذا لو قالت له بعد أيام: «وداعاً يا دانيال، وشكراً لك على الخدمة التي أسديتنيها. اذهب أيها العاشق، فأنا لا

أريد حبك، ولا أريدك. أنا أريد رجلاً قادراً على توفير العناية الحقيقية، ومستعداً للقبول بالالتزام. لا مجرد رجل لا يمتلك في نفسه الثقة لأن يكون زوجاً وأباً صالحاً؟».

أجفل دانيال من تفكيره هذا. بالطبع، يستطيع أن يكون زوجاً وأباً صالحاً. فهو مذ أيقن أنه قادر على الحب عرف بأنه بات قادراً على كل شيء!

إدراكه لذلك جعله يشعر بالارتياح، فأطلق تنهيدة وهو يحسن بتحسن في مزاجه. في الواقع، ما إن خطرت له فكرة استمرار الارتباط بهذا الزواج، حتى أحب هذه الفكرة كثيراً. حتى إنه أحب فكرة إنجاب أطفال من شارلوت. لا بد أنها ستكون أمًا رائعة!

مع ذلك، ما زالت أمامه مشكلة واحدة؛ كيفية حمل شارلوت على الوقوع في غرامه. إن انجذابها إليه شيء، والوقوع في حبه شيء آخر تماماً. أصبح دانيال يعرف ذلك الآن.

عاد ذلك الصوت الداخلي يذكره، كأنه يدعم ثقته بنفسه: «أنت لم تعانِ مشكلة من قبل في حمل النساء على الوقوع في حبك. ولا شك أن الكثير ينتظرك في المستقبل».

مع ذلك، ربما من الأفضل أن يخبرها بأنه وقع في غرامها، وأنه غيّر رأيه بشأن الزواج.

لكن، عليه أن يختار الوقت المناسب، فلا يتعجّل الأمور، وإلاّ فإنها لن تصدّقه. لذا عليه أن ينتظر. وفي هذه الأثناء...

وقف دانيال بعد أن لفّ المنشفة حول خصره، ثم توجه نحو الحمام وقد لاحظ أن صوت تدفق المياه قد توقف. توقع أن تكون شارلوت قد أنهت ارتداء ملابسها، مع ذلك فهو سيطرق الباب ليتأكد من ذلك.

كانت شارلوت على وشك أن تبدأ بتجفيف شعرها عندما سمعت طرقة قوية على الباب.

- نعم؟

ناداها دانيال عبر الباب: «أمرت بإحضار الفطور عند الحادية عشرة. لذا سوف أستحم وأحلق ذقني قبل ذلك. هل أنهيت حمامك؟».

لحسن الحظ أن آلة تجفيف الشعر ليست مثبتة في الحمام، وهكذا تستطيع إنهاء تجفيف شعرها في مكان آخر. كانت قد لاحظت في الليلة السابقة وجود طاولة خشبية منحوتة في غرفة الجلوس، ثبتت على الجدار فوقها مرآة ذات إطار. بالطبع، يمكنها استخدام هذه الطاولة كمنضدة تجميل.

شعرت شارلوت بالاحباط لأن دانيال سوف يراها بالصورة التي اعتادت ليزا أن تراها فيها معظم الصباحات. كانت تفضل أن تكون جاهزة له، وأن يكون شعرها مرتباً كأنها خارجة من صالون التجميل.

حسناً، ها هي على الأقل قد ارتدت ثياباً جديدة كانت قد اشترتها خصيصاً من أجل شهر العسل. وثيابها هي عبارة عن بنطلون من الجينز الأبيض المجعّد مع قميص من القماش نفسه، وانتعلت صندالاً أبيض خفيفاً ذا كعبين منخفضين وأربطة كثيرة.

التقطت آلة تجفيف الشعر وحقيبة تبرجها، وسارت بخطوات مسموعة على الأرض الرخامية السوداء، ثم فتحت الباب.

حاول دانيال ألاّ ينظر إليها، وقد تذكر المثل القائل بأن الحب أعمى. لكن ما إن وقع بصره على وجهها المغسول لتوه وعينيها الزرقاوين الصافيتين، حتى شعر أن عواطفه تكاد تتغلب عليه.

كاد يبلغها بأنه يحبها في اللحظة وفي ذلك المكان بالذات. وبدلاً من ذلك، أطلق شتيمة، ما جعلها تنظر إليه بدهشة وقد اتسعت عيناها.

ظهر العبوس على وجهه، وقال معتذراً: «آسف، لكن لا يحق لك أن تظهري بمثل هذه الروعة في هذا الصباح. فالأحرى بك أن تظهري متعبة العينين كما أبدو أنا».

متعب العينين! لا شك أنه يمزح، فهو يبدو رائعاً. كما أن تلك اللحية النابتة على ذقنه جعلته أكثر جاذبية.

أدركت شارلوت بأنها تحدق بالرجل من دون خجل، وهي مسلوبة اللب تماماً. فسارعت إلى القول: «كنت أفكر في ما عسى أن تقوله أختك بشأن مرافقتك لي في رحلة شهر العسل. أعني... إن الهدف من رحلتك هو زيارتها في المقام الأول».

أجابها دانيال على الفور: «لن تمانع في ذلك. كما أن باستطاعتي تمديد إقامتي بقدر ما أشاء».

كاد قلب شارلوت يقفز من مكانه لسماعها ذلك: «أحقاً؟ ظننت أنه يتعيّن عليك الرجوع إلى لوس أنجلوس في غضون أسبوعين».

هزّ دانيال كتفيه: «أنا رب عمل نفسي».

- حسناً، فهمت. لكنني لا أريدك أن تتعرض للمتاعب بسببي.

بصعوبة كبيرة، مرت من أمامه، ثم نظرت إليه من فوق كتفها قائلة بابتهاج: «الحمّام جاهز لك الآن».

ما إن أغلق دانيال باب الحمام وراءه جيداً حتى سمعت شارلوت صوت تدفق المياه. وسرعان ما هرعت إلى الغرفة الأخرى، فوضعت أغراضها على الأريكة، ثم تناولت سماعة الهاتف. وما إن حصلت على خط خارجي حتى طلبت رقم هاتف منزلها. بكل بساطة، شعرت أنها بحاجة إلى التحدث مع لويزا. أجابها صوت غير واضح: «نعم؟».

- لويزا، أنا شارلوت. استيقظي!

- شارلوت؟ براد، إنها شارلوت!

- لا أريد مكالمة ثلاثية. أريد التكلم معك فقط.

قالت شارلوت ذلك بحدة. وسمعت عبر الهاتف غمغمة بعيدة قبل أن تعود لويزا للتحدث معها.

- أنا في طريقي إلى المطبخ الآن، تكلمي!

- قولي لي مرة أخرى بأنه الانجذاب فقط.

- أوه.. هل الأمر خطير إلى هذه الدرجة.

- نعم.

- اسمعي، أؤكد لك أن ذلك كله ناتج عن الانجذاب بينكما وعن خيبة الأمل التي مررت بها.

- إذن، فأنت لا تعتقدين بأنني وقعت في غرام الرجل؟

- لا، ما الذي سيجعلك تحبينه؟

يمكن لشارلوت أن تفكر بالعديد من الأشياء التي تحبها في دانيال. إنه ليس فقط رجلاً بكل ما في الكلمة من معنى، بل هو لطيف، ذكي، حساس، وكريم الأخلاق.

شعرت بانقباض في صدرها عندما فكّرت أنه أعطى والدها ذلك المبلغ الضخم، وهو ليس مجبراً على ذلك، ومع أنها غضبت في حينه، إلا أن تلك هي مشكلتها وليس مشكلة دانيال. لا بد أنها بدت ناكرة للجميل أمامه.

قالت لويزا عبر سماعة الهاتف: «ما بكِ؟ لماذا سكتِ فجأة؟».

- لا شيء، لويزا، هل تقدمين لي خدمة؟

- وما هي؟

- أعدّي لي حقيبتي، هناك حقيبة رياضية في أسفل خزانتي، ضعي فيها كل الملابس الجديدة التي اشتريتها خصيصاً لشهر العسل. وضعي أيضاً الأكسسوارات التي تظنين أنني سأحتاجها. لقد أحضرت معي مجموعة من مساحيق التجميل والعطور وأدوات الزينة، لهذا لا تقلقي بشأنها. سأمر لأخذ الحقيبة حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف.

- لن أكون هنا في هذا الوقت. سيأخذني براد إلى منزله لتناول الشواء.

- أوه...

- لا تقلقي، سوف أجهزها وأتركها قرب الباب الأمامي. يا إلهي! أنا مسرورة لأن الليلة الماضية كانت ناجحة، لكنني لا أستطيع إضاعة الكثير من الوقت في التحدث على الهاتف، إن كان علي توضيب حقيبتك والخروج في الوقت المناسب. ها هو براد جاء يحثني على الإسراع.

- حسناً، شكراً لك لويزا.

- وداعاً حبيبتي، كوني يقظة.

أنهت لويزا المكالمة فيما كان براد ينتظرها بنفاد صبر.

- عليّ أن أوضب حقيبة شارلوت.

- ولمَ لا توضب حقيبتها بنفسها؟

- لأنها تريد اصطحاب دانيال معها إلى وادي هنتر، ولا تريد إضاعة الوقت. يبدو أنها تمتعت برفقته الليلة الماضية.

سألها براد: «وأنت ألا تستمتعين برفقتي؟».

- أنا أميل إلى الاعتقاد بأن الرجل يسأم من رفقة المرأة بعد مرور ستة أشهر على علاقتهما.

- أنا لن أسأم منك أبداً أيتها الفتاة. متى ستدركين ذلك؟

وقربها إليه معانقاً إياها بقوة ما منعها من الرد عليه. إلا أن قلبها راح يتراقص داخل صدرها. هل جعلها حفل الزفاف الذي جرى البارحة ترغب بأشياء لم ترغب بها من قبل؟

لعل الوقت قد حان لإعطاء الحب فرصة أخرى!

١٢ - رحلة الصمت

- آسف لهذا، يا أختي.

قال دانيال ذلك لشقيقته وهو يوضب الملابس التي أفرغها من الحقيبة قبل يومين فقط. ثم تابع قائلاً: «أعلم أنك تشعرين بخيبة الأمل».

أجابته بيث: «نعم ولا».

رماها دانيال بنظرة متسائلة فقال: «ما معنى ذلك؟».

- لا أنكر أنني تطلعت بشوق لإقامتك في منزلي، فأنا أشعر بالوحدة منذ تركت العمل ترقباً لاستقبال هذا الطفل وتربيته. لكنني مستعدة للتضحية بمتعتي الآتية برفقتك في سبيل مصلحتك البعيدة المدى.

أقفل سحاب حقيبة سفره الأنيقة، ثم نظر إلى أخته سائلاً مرة أخرى: «وما معنى هذا أيضاً؟».

ابتسمت شقيقته وقالت: «أعرف شقيقي الأكبر جيداً وإلى درجة كافية تسمح لي بأن اكتشف وقت وقوعه في الحب».

ابتسم دانيال ابتسامة ساخرة: «وهل أنا شفاف إلى هذا الحد؟».

- أخشى ذلك. أخبرني فينس أن ذلك كان واضحاً على وجهك في حفل الزفاف، وقال بأنه لم يرَ في حياته عريساً واقعاً في غرام عروسه مثلك.

- استغرقني الأمر بعض الوقت لأدرك هذه الحقيقة. لكن، علي أن أعترف يا بيث بأنني كدت أفقد توازني عندما أدركتها. لا بد أن الحب الحقيقي قوي جداً، أليس كذلك؟

ذبّلت بيث عينيها وأجابت: «نعم، إنه كذلك».

- سأفعل أي شيء في سبيلها.

- هذا واضح جداً.

تأوه دانيال وقال: «ما أخشاه هو ألاّ تشعر شارلوت نحوي بما أشعر به نحوها. أعني... أن لا يكون هذا الحب متبادلاً».

بدا واضحاً بأن دانيال يتجنب بذلك أن يعلن خشيته من أن يقتصر الأمر بالنسبة إليها على الانجذاب الجسدي فقط.

- هذا ممكن. أنت تعرف، على الأقل، بأنها ليست واقعة في غرام ذلك الرجل، وإلاّ لما تزوجتك. ومن الواضح بأنها معجبة بك، فتلك الفتاة التي التقيتها يوم الجمعة لن تكون مستعدة لاصطحابك معها في رحلة شهر العسل لو لم تكن مشاعرها قوية تجاهك. وأنا لا أعتقد بأنها امرأة عابثة.

وافقها دانيال: «نعم، إنها ليست كذلك».

شعر بتحسّن نسبي لمجرد سماع رأي بيث بشارلوت.

- كن حذراً يا دانيال. من المؤكد أنها ما زالت مشوشة الفكر في هذا الوقت، وهي بحاجة إلى بعض الوقت لتتعرف على حقيقة مشاعرها.

- كم من الوقت تحتاج لذلك؟

- ليس عليك أن تكون متسرعاً يا عزيزي. عليك فقط أن تتصرف حسب شخصيتك الجذابة والواثقة، كما تعودت دوماً. وأنا واثقة من أنك ستحصل على مبتغاك في النهاية.

لم يكن دانيال متأكداً تماماً من استنتاجها، فشارلوت مختلفة عن أي امرأة أخرى عرفها من قبل. ولم يبدُ عليها أنها مأخوذة بسحر شخصيته، أو حتى بثروته.

- فهمت من شارلوت عندما كنا نتناول طعام الفطور، بأن كل ما بيننا سوف ينتهي ما إن تنتهي عطلة شهر العسل.

- ربما قالت ذلك كي تحمي نفسها. إنها تعتقد بأنك من النوع الذي يعشق النساء ثم يتركهن، لذا من الأفضل أن تبادر هي إلى تركك.

حملق دانيال بأخته وقال: «ما كانت لتعتقد ذلك لو لم تقولي لها الكثير».

- اهدأ الآن، دانيال، كل ما فيك يدل على أنك ذلك الرجل العابث. فأي رجل له مثل مظهرك، ويمتلك الكثير من المال وهو ما زال عازباً في سن السادسة والثلاثين، ستصفه النساء بأنه رجل لهو. أما عزيزتك شارلوت فهي ليست مغفلة، بل أظنها تعرف الرجال جيداً. ولا شك بأنها ستكوّن تقييمها الخاص عنك.

كشّر دانيال قبل أن يقول: «نعم، أظن بأنك على حق. فأنا بنفسي قلت لها إن لديّ حساسية خاصة تجاه الزواج».

- إذن، فأنت من حفرت قبر آمالك بيديك بتلك العبارة، فالفتاة تريد أن تستقر وتنجب الأولاد. كلنا نريد ذلك في النهاية. عليك أن تجعلها تدرك بأنك غيّرت رأيك بالنسبة إلى موضوع الالتزام وإنجاب الأولاد. وعليك أن تعطيها فرصة لتقع في غرامك.

علا العبوس وجهه وقال: «أريد أن تقع شارلوت في غرامي لذاتي وليس بسبب وضعي جزرة الزواج أمامها».

تنهدت بيث: «في النهاية، أنت تصل إلى ما تريده دوماً، دانيال».

- ليس الأمر كذلك، بيث، كل ما في الأمر هو أنني لا أرغب في الوصول إلى ما وصل إليه أبي هذه الأيام. أنا أريد حياة حقيقية، وشارلوت ستوفر لي ذلك.

- انطلق إذن، واحصل عليها.

* * *

جلست شارلوت في السيارة خارج منزل بيث وهي تنتظر ظهور دانيال بفارغ الصبر. رفضت أن ترافقه إلى الداخل أثناء توضيبه لبعض احتياجات

الرحلة، خوفاً من أن تشعر بالحرج أمام بيث وزوجها.

ما هي الفكرة التي كوّناها عنها، يا ترى؟

تنفيذ ذلك الزواج المؤقت هو شيء، واصطحاب العريس معها في رحلة شهر العسل هو شيء آخر.

لم تكن شارلوت يوماً متساهلة بشأن النساء اللواتي يسهل انقيادهن للرجال. ومع ذلك، ها هي تبرهن بأنها سهلة الانقياد لهذا الرجل، لكنها ليست نادمة على ذلك.

بعد أن تحدثت إلى لويزا هذا الصباح، أخذت تتساءل مجدداً ما إذا كانت قد وقعت في غرام دانيال. لكن، ما إن خرج من الحمام بمظهر جذاب وهو يرتدي بنطلوناً من الصوف الطبيعي مع قميص حريرية نيلية اللون حتى أدركت أن الرغبة والانجذاب الجسدي هما العاملان الأساسيان اللذان يقفان وراء سلوكها الغريب.

على الرغم من عدم رغبتها بمواجهة شقيقته في هذا الوقت، رفضت شارلوت بثبات أن تدع مشاعر الذنب أو الخجل أو حتى القلق تفسد جو الإثارة الذي تعيشه. سوف تؤجل هذه المشاعر السلبية إلى أن تنتهي عطلة شهر العسل. أما الآن، فسوف تتمتع بكل لحظة تتوفر لها.

كاد قلبها يقفز فرحاً عندما فُتحت البوابة الخارجية في منزل بيث، وظهر منها دانيال وهو يجر وراءه حقيبة سفر سوداء متينة.

نزلت شارلوت من السيارة بعد أن فتحت قفل صندوق السيارة، وسارعت لفتح غطاء الصندوق أمام دانيال.

ما إن اقترب دانيال منها حتى طالعها بابتسامة من تلك الابتسامات التي ترقّص القلوب، وقال: «لا بد أنني حظيت بأجمل سائقة في سيدني».

قال ذلك باطراء كبير وهو يضع حقيبته إلى جانب حقيبتها، قبل أن ينحني ليعانقها عناقاً سريعاً جعل قلبها يقفز بين ضلوعها.

التقت نظراتهما، وبدا أن عينيه تتفحصان عينيها، فسألته: «ما الأمر؟».

- لا شيء. هل ننطلق؟

ما إن انطلقت بهما السيارة، سألته شارلوت: «ماذا قالت أختك؟ هل غضبت منك؟».

- لا، شعرت ببعض الخيبة، لكنني وعدتها بأن أعوض عليها لاحقاً.

- كيف؟

- كما قلت لك سابقاً؛ سوف أبقى هنا لفترة أطول.

لم تكن شارلوت متأكدة بأن الأمور ستتم على خير ما يرام. ماذا لو رغب برؤيتها بعد أن ينفصلا؟ إنها تعرف بأنها لا تستطيع مقاومته إذا ما استمرت الأمور بينهما لفترة طويلة.

أقنعت نفسها بأن أفضل ما تفعله هو أن تعيش اللحظة، وتترك الأمور الأخرى إلى حينها. مجرد وجود دانيال إلى جانبها في السيارة ساعدها على تركيز أفكارها على علاقتهما الحالية. استطاعت أن تتنشق عطر ما بعد الحلاقة الذي وضعه، وأن تشعر بحرارة جسده وحيويته.

حذرها دانيال بحزم: «من الأفضل أن تنتبهي أثناء القيادة، أو أن تدعي الأمر لي».

ذلك أن شرود أفكارها جعل السيارة تتجه إلى الجانب الآخر من الطريق.

ردت عليه بسرعة، بعد أن استعادت السيطرة على نفسها وعلى السيارة: «لا، فأنت لا تعرف الطريق جيداً».

- تعلمين بأنني لست غريباً تماماً عن سيدني.

- ربما، لكنك غبت عنها مدة طويلة. كما أنك أخبرتني بنفسك بأنك لم تتوجه شمالاً من قبل، لا سيّما إلى وادي هنتر.

بالإضافة إلى ذلك، والسبب الأهم في الواقع، هو أنها تفضل أن تلهي نفسها بالقيادة بدلاً من النظر إليه والاستغراق في الأحلام.

اقترحت عليه: «لِمَ لا تستلقي وتأخذ قسطاً من الراحة؟ ليس هناك مناظر تستحق المشاهدة حتى خروجنا من المدينة».

لكن دانيال كان لديه اقتراح آخر، فقال: «لِمَ لا نمضي الوقت بالتحدث معاً؟».

التحدث معاً؟ لم تكن شارلوت تريد التحدث معه. إنها لا تريد معرفة المزيد عنه، لأنها كلما ازدادت معرفة به كلما ازدادت تعلقاً به أيضاً.

قالت بحذر: «ما هي الأمور التي يمكننا أن نتحدث بشأنها؟».

هزّ دانيال كتفيه قائلاً: «عن أي شيء، عن كل شيء».

شعرت شارلوت بتشنج في صدرها، وقالت: «أجد صعوبة في التركيز على القيادة والحديث في الوقت نفسه».

- إنه يوم أحد، والطريق ليست مزدحمة بالسيارات.

- نعم، حسناً، إنني سائقة عصبية المزاج.

- قال والدك بأنك لست من النوع العصبي المزاج.

ردّت عليه بحدّة: «حسناً، إنني أتهرب من التحدث إليك. هل هذا أفضل؟».

ندمت شارلوت فوراً على حدّتها، فعليها أن تتحلى ببرودة الأعصاب. فتابعت تقول: «اسمع، سأشغل الراديو ويمكنك الاصغاء إليه».

شغّلت الراديو، وضبطته على محطة بي. بي. سي، ثم سألته: «هل يناسبك هذا؟».

- أظن ذلك.

أجاب دانيال بذلك، ثم استرخى في مقعده واضعاً ذراعيه فوق بعضهما البعض، واغمض عينيه نصف إغماضة.

كادت شارلوت تتنهد من شدة ارتياحها، مع أن أي ارتياح حقيقي هو

ارتياح قصير العمر كما يقال. كانت الساعة في واجهة السيارة تشير إلى الواحدة والربع، أما وقت وصولهما المتوقع إلى المنتجع فهو الثالثة تماماً، إذا ما حالفهما الحظ.

لكن، ماذا سيحدث بعد ذلك؟

أصابتها ارتعاشة لفكرة التواجد مع دانيال مرة أخرى خلف أبواب مغلقة. ولم تستطع تحويل تفكيرها نحو أي شيء آخر.

أمسكت يداها بمقود السيارة بشدة، علهما تتوقفان عن الارتجاف. فالساعتان القادمتان ستكونان أطول ساعتين في حياتها، كما دلتها توقعاتها.

لم يكن دانيال يصغي إلى الراديو، بل راح دماغه يحلّل تصرفات شارلوت وردة فعلها الأخيرة.

بدا بوضوح أنها شديدة التوتر.

وتذكر ما قاله والدها بالأمس؛ إن الاهتمام يجعل المرء متوتراً. هل يفسر توتر شارلوت كدليل على الاهتمام، أم أنها بدلت موقفها منه؟

ربما ما كان يجدر به أن يعانقها عندما فتحت له صندوق السيارة. لكن المشكلة هي أنه كلما رآها يشعر بأنه مأخوذ بجمالها ويود أن يعانقها.

اللعنة! لقد أصبح هو أيضاً متوتراً، مع أنه ليس كذلك في العادة. إلاّ أن الرهانات باتت عالية الآن، ولا شك بأن الفوز بقلب شارلوت هو مهمة صعبة.

اختلس نظرة جانبية نحوها فإذا خداها متوردان تماماً. أتراها تشعر بالإثارة مثله؟ وفكر بأنها تبدو جميلة جداً على أي حال.

في الواقع، أحب دانيال الطريقة التي صففت بها شعرها اليوم. فقد بدا مختلفاً تماماً عما كان عليه البارحة في حفل الزفاف. فهذه المرة كان مرفوعاً عن وجهها ومضموماً بقوة على شكل ذيل الحصان. ومع ذلك لم يكن يبدو صيانياً متموجاً بل ناعماً وأنيقاً. فقد أظهر عنقها الناعم، ما جذب انتباهه إلى الحلق

المتدلي من أذنيها.

كانت شارلوت تضع حلقاً فضيًا، يزينه عدد من المجوهرات المدلاة إلى الأسفل. وكان الحلق يتأرجح من جانب إلى آخر كلما انعطفت السيارة يميناً أو يساراً.

قالت شارلوت بحدة: «هل ستكفّ عن التحديق بي؟».

لاحظ دانيال نبرة الإحباط في صوتها، كما أن مفاصل أصابعها بدت بيضاء لشدة ضغطها على مقود السيارة. كما لاحظ أمراً آخر أيضاً.

- لقد نزعتِ خاتم غاري.

- ماذا؟

- خاتم خطوبتك، قمت بنزعه من إصبعك.

كما لاحظ بأنها احتفظت بخاتم الزفاف. أما خاتمه هو فكان ما يزال عالقاً في إصبعه.

- آه، نعم، الخاتم. وضعته في الدرج عندما وضبت أغراضي.

تابع دانيال، علّه يحملها على التحدث إليه: «هل تعتزمين إعادته إلى غاري؟».

تنهدت قائلة: «ربما، على أي حال، أنا لا أبدو أفضل منه، أليس كذلك؟ فما أقوم به هو عمل خاطئ».

- ما كنت لأقول ذلك لو كنت مكانك.

ضحكت شارلوت: «بالطبع، أنت لن تقول ذلك. لعلك تقوم بمثل هذه الأمور على الدوام، لكن أنا لا. مع ذلك، لن أبدأ الآن بتعنيف نفسي، فأنا معك الآن لأنني أردت ذلك، ولا أحد يجبرني على أي شيء».

- أنت تجعلين ما نقوم به يبدو أمراً قذراً، مع أنك حرة طليقة كالطيور يا شارلوت، ولك الحق بأن تكوني مع من تشائين. بالإضافة إلى ذلك، نحن قد تزوجنا بالأمس.

- ألا تظن أن الناس قد يعتبرون أنني امرأة سطحية ومتذبذبة، لأنني تحولت فجأة من رغبتي في الزواج من غاري في اليوم الأول، لأنتهي بالزواج بك في اليوم التالي؟

علا العبوس وجه دانيال. وفكر أن بيث على حق، فمن الواضح أن أفكار شارلوت مشوشة الآن، وهي لا تشعر بالارتياح الكامل لقرارها قضاء شهر العسل معه.

قال بحذر: «هذا تبسيط مفرط للأمور، فالوضع أكثر تعقيداً من ذلك. كما أنك لم تقعي في غرام غاري».

- لا. لكنني اعتقدت ذلك. فأنا دائماً أعتقد أنني واقعة في غرام الرجل الذي ألتقيه، في حين أنني لست كذلك.

كاد قلب دانيال يتوقف عن الخفقان. هل كانت هذه زلّة لسان؟ هل تعنيه هو بالتحديد بقولها هذا؟ أمل دانيال ألاّ يكون الأمر كذلك. وفكر بأن الوقت غير مناسب الآن للضغط عليها، وكل ما يستطيع القيام به هو بأن يريح ضميرها، ويبدد مخاوفها بشأن الظهور بمظهر السطحية والتذبذب. فقال: «يعتقد الكثيرون بأنهم واقعون في الحب عندما لا يكونون كذلك في الحقيقة».

إلا أنه سرعان ما ندم على قوله هذا، وذلك عندما أطلقت شارلوت ضحكة جافة وعلّقت قائلة: «أخيراً أدركت هذا الأمر. ولو أنني التقيتك في وقت آخر في حياتي، لظننت بأنني واقعة في غرامك. أما الآن، فأستطيع القول بأنني كبرت بما يكفي لكي أعرف بأن الأمر لا يتعدى الانجذاب الجسدي فقط. تماماً كما تشعر أنت تجاهي».

يا للفظاعة! ماذا يستطيع أن يقول الآن؟ هل يقول لها إن الأمر لا يتعلق بالانجذاب الجسدي فقط يا شارلوت، فأنا أحبك، وقد أحببتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها؟

لو قال لها ذلك، فسوف تضحك منه وقد تتهمه بالكذب. وبدلاً من ذلك

قال: «العديد من العلاقات الناجحة تبدأ بالانجذاب الجسدي».

– من الواضح بأن الأمر ليس كذلك بالنسبة إليك. أراهن بأنك لم تسكن مع أية امرأة عرفتها.

– أنت محقة، فأنا لم أفعل ذلك من قبل. لكن، لعلّ السبب هو أنني لم ألتقِ بالفتاة المناسبة في الماضي.

نظرت إليه بجفاء، قبل أن تقول: «آه، لا. لا تسمعني هذا الكلام المبتذل. لقد قلت لي إنك تحب في صراحتي وصدقي. حسناً، أنا أيضاً أريدك أن تكون صريحاً وصادقاً معي. إنك رجل يحب التمتع بالحياة، يا دانيال. وقد اعترفت لي بنفسك بذلك، وأنا لا أمانع أن نمضي معاً بعض الأوقات السعيدة في الأيام القليلة القادمة».

هنا، قرّر دانيال أن يتوقف عن تسريع الأمور. عليه أن يكون صبوراً جداً في سعيه للزواج من شارلوت. لا بأس من اعتماد التأني، فهو يملك الوقت الكافي، وهي لن تهرب منه.

قال لها برباطة جأش: «حسناً، إذا كنا نريد قضاء وقت ممتع في ما بعد فيجدر بي أخذ قسط من الراحة، كما اقترحت أنت من قبل. فقد أنهكني طول السهر في الليلة الماضية».

لم تصدق شارلوت بأن دانيال أرجع مقعده إلى الخلف، واستغرق في النوم. وبذلك لم يترك لها شيئاً يلهيها عن أفكارها المشوشة سوى الطريق والراديو.

بعد رحلة طويلة بدت دون نهاية، انعطفت عن الشارع الرئيسي إلى طريق فرعية تؤدي إلى غيسنوك وأسفل وادي هنتر. كانت الساعة أمامها تشير إلى الثانية والخمس والأربعين دقيقة. أما هي فكانت تشعر بأن الوقت قد طال أكثر من ذلك بكثير.

شعرت بالامتعاض من استسلام دانيال للنوم، مع أنها هي من اقترح عليه ذلك في وقت سابق. لكنها كرهت أن يبدو هو بمثل هذه البرودة بينما تشعر هي كأنها هرّة على سطح من الصفيح الساخن.

فجأة، تحرك دانيال في مقعده، وأعاد المقعد إلى وضعه السابق، ثم نظر من حوله قائلاً: «أين أصبحنا الآن؟ يبدو أننا أمضينا ساعات على هذه الطريق».

شعرت شارلوت بالارتياح لنفاد صبره. وأجابته: «لا يبعد المكان كثيراً من هنا».

قال وهو يجول ببصره في الأراضي الممتدة حولهما: «يبدو كل شيء جافاً هنا».

في الواقع، لم تكن شارلوت تعتقد بأن هذه المنطقة تبدو سيئة فعلاً في هذا الشهر الأخير من الصيف. فقد كان العشب يمتد على جوانب الطريق وقد بدا أخضر اللون تماماً. صحيح أن الحقول المنتشرة في المكان بدت بنية اللون جزئياً، كما بدت الأشجار ذابلة إلى حد ما، وأوراقها تتدلى نحو الأرض، إلا أن هذا أمر طبيعي في نهاية يوم حار.

– إن كنت تعتبر أن هذه الأراضي جافة، فيجدر بك أن تشاهد المكان الذي يعيش فيه والداي. هناك، لا يمكنك أن تجد ورقة عشب خضراء واحدة في مثل هذا الوقت من السنة. ووالدي يطعم القطيع أعلافاً منذ شهور.

– ماذا عن وضع المياه هناك؟ قرأت في الجريدة، عندما كنت في منزل بيث، أن بعض القرى الصغيرة تضطر إلى جلب المياه من أماكن بعيدة.

– تمثل المياه مشكلة على الدوام في فصل الجفاف الطويل. لحسن الحظ يمتلك والدي بئراً إرتوازياً وبعض الخزانات. ولعلّه سيستخدم المال الذي أعطيته إياه لبناء خزان جديد، كما يمكنه أن يستعيد مواشيه التي اضطر إلى بيعها.

– ما عدت غاضبة مني بسبب ذلك المال، أليس كذلك؟

– لا، ولكي أكون صادقة معك، لقد ندمت على ردة فعلي بهذا الشأن. لم تكن مضطراً للقيام بذلك.

التعبير الذي ظهر على وجه دانيال بدا فظيعاً، حين قال: «وهل ظننتِ بأنني أعطيت والدك ذلك المال كرشوة لحملك على مشاطرتي السرير؟».

- خطرت تلك الفكرة على ذهني.

- لكنني طلبت من والدك ألاّ يخبر أحداً بالأمر، واللوم لا يقع عليّ إذا كان هو قد أخبر الجميع بذلك.

- أنا أدرك ذلك الآن. لكن تفكيري لم يكن صائباً في ذلك الوقت، فقد كنت تحت وطأة ضغط شديد. أنا آسفة.

مع أن مظهر دانيال لم يدل على أنه شعر بالسعادة، إلاّ أنه دمدم قائلاً: «اعتذار مقبول، لكن حاولي في المستقبل أن لا تتسرعي باستنتاجات تتعلق بي، ولا تحكمي عليّ بقسوة. فأنا لست ذلك المتهتك الفاسد الأخلاق، حتى أنني لا أحب عبارة الرجل العابث. فأنا لست سوى رجلاً عادياً تجري في شرايينه دماء حارة، ويحب أن يمضي بعض الوقت مع امرأة يعتقد بأنها جميلة جداً ومميزة جداً».

لكن شارلوت بدت مصممة على عدم تصديق الاطراءات التي يقدمها لسان دانيال الزلق، فقالت بحيادية ظاهرة: «إذا كنت تعتقد بأنني مميزة، فهذا لطف منك».

- لطف! تجعلينني أبدو مادياً بشكل كبير.

ضحكت ثم قالت: «أنت قلتها ولست أنا. آه، وصلنا إلى غيسنوك. والآن، لم تعد لدينا مسافة كبيرة حتى نصل. هل تعرف شيئاً عن غيسنوك؟».

- ليس الكثير.

لم تبدُ عليه أي رغبة بمعرفة أي شيء، لكن لعب شارلوت دور المرشدة السياحية بدا له أمراً مسلياً.

ما إن دخلا ضواحي غيسنوك حتى قرأت شارلوت لوحة الطريق بصوت مرتفع: «مناجم، فاكهة، وسياحة. هذه العناوين تلخص واقع غيسنوك تقريباً. فهي كانت قبل كل شيء مدينة مناجم، ثم ظهرت كروم العنب، أما في السنوات الأخيرة فقد ازدهرت فيها السياحة».

راحت السيارة تتهادى على مهل باتجاه الشارع العام العريض، فقال دانيال: «تبدو المدينة مزدهرة تماماً».

- إنها كذلك. وأسعار الأراضي ترتفع هنا بصورة جنونية. لكنها تبقى منطقة حارة، لا سيّما في فصل الصيف. انتظر حتى ننزل من السيارة، سوف تصدمك الحرارة المرتفعة.

توقعت الأرصاد الجوية أن تكون الحرارة في وادي هنتر لهذا اليوم ثمانية وثلاثين درجة، وهي درجة حرارة مرتفعة بالنسبة لمناخ سيدني الأكثر اعتدالاً.

- نحن لن نتوقف هنا، أليس كذلك؟

- لا.

- هل ما زلنا بعيدين عن مقصدنا؟

- بل اقتربنا كثيراً.

كان المنتجع قد أرسل إليها خريطة للمنطقة عن طريق البريد الألكتروني. وشارلوت حفظتها عن ظهر قلب. تابعت تقول: «نحتاج إلى عشر دقائق فقط بعد خروجنا من المدينة، هذا إذا لم اخطئ في أحد المنعطفات».

ولم تخطئ شارلوت في الطريق. بل سرعان ما غادرا غيسنوك ليسيرا في طريق ملتوية تحيط بها الأشجار من الجانبين.

قالت شارلوت: «حسب الخريطة التي أرسلوها إليّ، يجب أن يكون وادي هنتر إلى يمين الطريق، وليس بعيداً من هنا».

انحدرت الطريق بهما نحو أخدود، ثم اتجهت صعوداً. وفجأة ظهر وادي هنتر على يمينهما. وهو عبارة عن منتجع يحتوي مبانٍ فخمة مشيدة على الطراز الأوروبي القديم، تنتشر على تلة كبيرة.

قالت شارلوت وهي تعبر بالسيارة من البوابات الحديدية الكبيرة السوداء: «حسب ما ذكر في موقع هذا المنتجع على الانترنت، شيدت هذه الأبنية منذ أكثر من عشرين عاماً لكن تم تجديدها حديثاً. والآن يعتبر هذا المنتجع من المنتجعات

الخمس الأولى في هذا الوادي».

قالت ذلك وهي تنعطف بالسيارة لتدخل أحد مواقف السيارات المجاورة لمبنى رفعت عليه لوحة كتب عليها «الاستقبال»، ثم تابعت حديثها قائلة: «لديهم هنا مطعم من فئة الخمسة نجوم، ومقهى، ومسبح داخلي تسخن مياهه بواسطة الطاقة الشمسية. وهناك أيضاً ملاعب لكرة المضرب، وممرات للتنزه، ونادٍ رياضي. أما الغرف الفاخرة، حيث سننزل، فهي مزودة بمغاطس مياه، وشرفات خاصة تطل على منظر الوادي الخلاب».

قال دانيال وهما ينزلان من السيارة: «آمل أنها تحتوي على مكيفات هواء أيضاً، الآن أدركت ما تعنيه. فالحرارة شديدة هنا».

– حذرتك من ذلك مسبقاً. لكن يبدو أن العاصفة في طريقها إلينا.

قالت ذلك وهي تنظر إلى الأفق حيث تجمعت كتلة كبيرة من الغيوم فوق سلسلة الجبال.

لكن العاصفة لم تكن مقتصرة على الخارج فحسب. الآن، وقد وصلا إلى مقصدهما، شعرت شارلوت كأن بركاناً يغلي في داخلها. أما حرارة الجو فلا يمكن مقارنتها بالحرارة التي تعتمل في داخلها.

أمسك دانيال بذراعها وجرها نحو مبنى الاستقبال قائلاً: «أظن أنه يتعين علينا عدم البقاء تحت أشعة الشمس».

لحسن الحظ، أن الحجز كان باسمها، لذا لم تواجههما أية صعوبات. وخلال خمس دقائق فقط كان المفتاح في حوزتهما، بالإضافة إلى تعليمات عن كيفية الوصول إلى غرفتهما. وعندما سئلا إن كانا يريدان حجز طاولة للعشاء في المطعم هذه الليلة، أجاب دانيال على الفور بأنهما يفضلان وصول العشاء إلى غرفتهما. ولم تجادل شارلوت في ذلك، فهي أيضاً تفضل خدمة الغرف.

قال لهما موظف الاستقبال: «الغرفة المجاورة لغرفتكما فارغة. وهكذا، يمكنكما أن تتمتعا بعزلة تامة، بالإضافة إلى التمتع بالمنظر الجميل، كما أن

الغرفة قريبة من المسبح والنادي. يمكنكما اتباع الإرشادات الموجودة على الطريق».

أخيراً وصلا إلى الغرفة التي تقع في نهاية المجمّع المستطيل الشكل، ذي السقف المرتفع، والذي تحيط به الشرفات من كل الجوانب.

– هل تفضلين أن نسبح قليلاً بينما يتم تشغيل المكيفات؟

سألها دانيال ذلك وهو يضع الحقائب على شرفة الغرفة الخارجية، ويقفل الأبواب.

لم تحبّذ شارلوت الفكرة، فسألته بدورها: «هل تفضل أنت ذلك؟».

– لا. أنا أفضل أخذ حمام وانبعاء هنا. هل أنت موافقة؟

– أعتقد بأنك تعرف الجواب مسبقاً.

قال بصوت خافت: «لديّ الشعور نفسه».

تمنت شارلوت أن تصدق كلامه، لكنها تعرف في داخلها أن دانيال لا يشعر مطلقاً بما تشعر هي به. كما أنها المرة الأولى التي تقيم فيها علاقة حميمة مع رجل أما هو فمن الواضح بأنه معتاد على مثل هذه الأمور.

ما إن أغلق دانيال الباب قال: «من المفترض أنهم استخدموا عزلاً مناسباً للغرف هنا. بحيث تكون الحرارة في الداخل أقل مما هي في الخارج. لكن مع ذلك، يحتاج الأمر إلى استخدام المكيف».

شغل دانيال نفسه، كما يفعل الرجال عادة، بالأمور الميكانيكية والكهربائية. فتفحص أجهزة التكييف وجهاز التلفزيون الذي وضع في خزانة حائط كبيرة، بالقرب من السرير الضخم.

وبعد زيارة خاطفة إلى الحمام قال: «يا له من حمام فخم، إذهبي وتفحصيه».

وكان مصيباً بالفعل، فالحمام رائع حقاً، وقد زوّد بمغطس كبير، وطاولتي زينة بالإضافة إلى كل أدوات الزينة التي يمكن لزائر أن يحتاجها.

عندما رجعت، كان دانيال قد أبعد الستائر التي تغطي الأبواب الزجاجية المتحركة التي تؤدي إلى الشرفة. واكتفى بالوقوف هناك وقد أدار ظهره نحوها ووضع يديه في جيبيه.

قال دانيال: «إنه منظر رائع. من هنا يصل البصر إلى عدة أميال. من المؤسف ألاّ نستطيع الذهاب الآن إلى هناك. لعلنا سنتمكن من ذلك في ما بعد، هذا المساء».

قالت شارلوت بصوت مختنق: «دانيال».

التفت نحوها ببطء وكأنه يظهر تردداً في مواجهتها، وأجاب: «نعم».

- كفّ عن تعذيبي.

ابتسم دانيال: «إني لا أعذبك، حبيبتي، بل أعذّب نفسي».

ما إن سمعته يناديها «حبيبتي» حتى صدرت عنها أنّة حزينة. وبالطبع، أساء دانيال فهمها، فقد ظن أنها تعبير عن الخيبة، إلا أنها في الحقيقة صرخة يأس، ولا شك بأن سماعها كلمة «حبيبتي» منه كانت كافية لتقنعها بأن ما تشعر به نحوه لا يقتصر على الانجذاب الجسدي فقط. فهذه العبارة تركت قلبها مجروحاً، دامياً.

قطع دانيال المسافة بينه وبين شارلوت بخطوات ثلاث طويلة. ثم جذبها بقسوة نحو ذراعيه.

شعرت شارلوت بالارتياح لأنه لم يبدُ متكلفاً، ولم يتصرف برقة بالغة. وبدلاً من ذلك، أطبقت ذراعاه عليها بقسوة وراح يشدها بقوة إليه.

لا شك أن عناقه بدا متطلباً الليلة الماضية، اليوم جعلها تشعر بالسرور. إذ أدركت بأنه يرغب بها كما ترغب به هي تماماً.

صدرت عن دانيال أنّة رقيقة: «يا إلهي، يا شارلوت، إنك تسببين لي الجنون».

ومع ذلك رفضت هي أن تصدق أن ما يشعر به كلاهما هو الحب بعينه. لا

شك أن الأمر لا يتعدى ما أخبرتها به لويزا، ولا شيء أكثر من ذلك.

لا تتطلعي إلى ما هو أكثر من ذلك، ولا تأملي بأكثر من ذلك!

لا تبني أوهاماً باطلة إذا أردت الاحتفاظ بسلامتك العقلية!

www.elromancia.com

١٣ - عناد في الحب

أجفلت شارلوت لسماعها صوت الرعد. كانت الغرفة شبه مظلمة، والساعة قرب السرير تشير إلى الخامسة والثلث فقط، وسرعان ما التمعت أضواء البرق وتبعها قصف رعدي شديد. يبدو أن العاصفة تقترب من المكان.

لم يكن دانيال قربها في السرير، يبدو أنه استيقظ قبلها. تمكنت من رؤيته من خلال الباب المتحرك. كان جالساً على الشرفة، مرتدياً ثوب الحمام ويرتشف كوباً من العصير.

يا له من رجل لطيف!

مع أنه من النوع الذي يحب اللهو والتسلية، فهذا لم يمنعه من إظهار اللطف معها.

لسوء الحظ أنه لا يريد لهذا الزواج أن يستمر. لا شك بأنه سيكون زوجاً مثالياً، رائعاً. تراقص قلب شارلوت بين ضلوعها عند هذه الفكرة، ما بدّد كل شك حول ما فكرت فيه من قبل، والذي حاولت إقناع نفسها به؛ أي أن الأمر ليس سوى انجذاباً فقط.

لقد وقعت في حب دانيال، ومن السخافة أن تستمر بإنكار ذلك.

تركت شارلوت عينيها تتأملانه بمحبة وشوق. وتمنت لو أن زواجهما هذا يستمر فعلاً ليغدو زواجاً حقيقياً، فتشعر بأنهما يستمتعان بشهر عسل حقيقي.

لو أن الأمر كذلك حقاً، لخرجت الآن إلى الشرفة واحتضنته، وسمحت لأصابعها بأن تعبث بشعره، وقاسمته العصير الذي يشربه... لأخبرته أيضاً بأنه أكثر الرجال وسامة ولطفاً وجاذبية بين كل الذين التقتهم.

اعتراها الخجل في هذه اللحظة، وهي تتذكر كيف تمسكت به في المرة الأولى، لكنها شعرت باليأس حينها لشدة شوقها إليه. وهي ما تزال كذلك حتى الآن.

ربما ذلك يعود إلى أنها لا تستطيع التعبير له عن حبها. فإذا ما فعلت ذلك، سوف يظن أنها امرأة مجنونة، غريبة الأطوار، تنتقل من رجل إلى آخر على الدوام، وتعتقد كل مرة أنها واقعة في الحب.

المشكلة، هذه المرة، هي أنها وقعت في غرامه فعلاً. أحياناً، يتعيّن على المرء أن يختبر الذهب المزيف مراراً قبل أن يتعرف على الذهب الحقيقي عندما يقع بين يديه. وها هو يقع بين يديها.

كان بودها أن تتظاهر بأنها ما زالت نائمة، فتستكين تحت الغطاء لمدة أطول. إلا أنها اضطرت إلى مغادرة السرير والتوجه إلى الحمام. نهضت وهي تتأوه، وارتدت ثوب الاستحمام.

في الحمام لمحت صورتها في المرآة. بدت عيناها مشرقتين وشفتاها متوهجتين، أما شعرها اللامع فما زال مرتباً في تسريحة ذيل الحصان. حتى إنها ما زالت تضع الحلق في أذنيها.

هزت شارلوت رأسها باستهزاء، وسارعت إلى نزع حلقها، ثم وضعته على منضدة التجميل قبل أن تتوجه نحو الشرفة، حيث يجلس دانيال. تسارعت دقات قلبها على الفور، وتوترت عضلات جسمها تحت ردائها القطني الناعم. وسرعان ما شعرت بالتوق إليه من جديد.

ما إن وصلت إلى الشرفة حتى بادرها دانيال بابتسامة دافئة وقال: «إذن، ما تزالين على قيد الحياة! كنت على وشك الدخول لألقي نظرة عليك. تعالي، اجلسي. سأحضر لك كوب عصير وأملأ كوبي من جديد. لا بد أنك متعبة، بعد قيادة السيارة لهذه المسافة الطويلة. هل تشعرين بالتحسن الآن؟

التقت عيونهما بينما كان يناولها كوب العصير، وكل ما استطاعت التفوه به هو كلمة «نعم».

فجأت التهبت السماء المظلمة بالتماعات البرق، وتلاها قصف مدوٍّ للرعد. قال دانيال: «سينهمر المطر في أي دقيقة الآن. أحب أن أراقبَ سقوط المطر. وأنت؟».

واسترخى في مقعده على الجهة الأخرى من الطاولة. ارتشفت شارلوت جرعة من العصير المثلج ثم أجابت: «أحب ذلك عندما تتاح لي الفرصة».

بدأت قطرات المطر الكبيرة تتساقط على السطح ذي الأعمدة الملونة. فقال دانيال بنبرة ملؤها الحماسة: «ها قد جاء المطر!».

فجأة، وجدت شارلوت نفسها تحدّق بوجهه الصبياني، وهي تتساءل إلى أي نوع من الرجال سينتمي هذا الرجل لو أن والده لم يقم بخيانة والدته! أتراه سيكون من النوع الذي يغوي النساء ثم يتركهن، أم أنه سوف يختار أن يتزوج وينجب أولاداً؟

على الأقل، أراد غاري أن يتزوج وينجب الأولاد. ولا شك أنه الآن يتهيأ للزواج من فتاته، بينما هي تشعر بالحيرة والارتباك بسبب زواجها من دانيال. لا شك أنها تهدر المزيد من أوقات حياتها على رجل لن يعطيها أبداً ما ترغب به.

حدّق دانيال فيها وقد لاحت التماعة في عينيه السوداوين، ثم قال: «أنت تفكرين. لكن كثرة التفكير لا تجدي نفعاً. لِمَ لا تقتربين فتجلسي إلى جانبي؟ أحضري كوب العصير معك».

أطاعته على الفور. فحملت كوبها واقتربت لتجلس على المقعد المزدوج الذي يجلس هو عليه.

وبسرعة قياسية، وضع دانيال كوبه على الطاولة، وأحاط كتفيها بذراعه ليشدها إليه بحنان.

همست بصوت أبح: «دانيال».

أجابها بصوت خافت ومثير: «ماذا، حبيبتي؟».

يا لهذا الرجل! إنه يناديها حبيبتي مرة أخرى وذلك يفقدها صوابها. ألا يكفيها أنها غارقة في حبه، ولا يمكنها التعبير له عن ذلك حتى يثير جنونها بكلماته الرقيقة؟

قالت: «أنت لا تتوقف عن إغوائي مرة بعد مرة».

- وهل هذا أمر سيء؟

ضحكت شارلوت ضحكة خافتة مرتجفة وأجابت: «لا أظن ذلك».

كان الهواء كثيفاً، محملاً بالرطوبة، والعاصفة على وشك الهبوب. أنار البرق السماء المظلمة، في الوقت الذي تشبثت يدا دانيال بها. فجأة. اندفع الهواء الذي كانت تحبسه في رئتيها، وتأوهت بارتياح. إلا أن ارتياحها سرعان ما تلاشى لسماعها قصف الرعد مجدداً.

قال دانيال بصوت متهدج: «هل أخافك الرعد».

ابتسمت شارلوت وقد شعرت بالخجل، ثم أومأت موافقة. هل يمكنها أن تخبره أن العاصفة التي تغلي في داخلها أقوى من العاصفة الخارجية مهما كثر فيها الرعد؟

ليتها تستطيع التفوه بكلمة «أنا أحبك». لكنها لا تجرؤ على ذلك. وعوضاً عن الكلام، أحاطت وجهه بيديها وعانقته. بادلها دانيال العناق ببطء وإحساس قوي، لا بعنف ووحشية.

اشتد هطول المطر، وبات صوته مسموعاً عند تساقطه على السطح. أحاط دانيال وجهها بيديه وعانقها مرة أخرى مبرهناً لها أنه ما زال أمامها الكثير لتتعلمه.

أصبح الهواء أكثر برودة مع تساقط المطر، فشعرت بالارتجاف، وبقشعريرة تسري في جسدها بأكمله.

بقيا على هذه الحالة لفترة طويلة، وكأنهما لا يشعران بالزمان أو المكان. كل ما شعرت به شارلوت هو أنها في أمان هنا، وكل ما يحيط بها

رائع.

أعادها رنين هاتفها الخليوي إلى أرض الواقع، فتأوهت. لماذا تصر الهواتف على الرنين في أوقات غير مناسبة؟

أطبق دانيال ذراعيه حولها بشدة أكثر وقال: «لا تجيبي».

أطاعته خلال نصف الدقيقة التالي، إذ لم تكن ترغب بشيء سوى التمتع بدفء صدره. لكن صوت الهاتف لم يتوقف. ما اضطرها إلى الابتعاد عن عالم أحلامها، وأثار في ذهنها أفكاراً مقلقة.

لا يعرف الكثير من الناس رقم هاتفها الخليوي. إذ يعرفه فقط رب عملها، والداها، ولويزا. من المستبعد أن يتصل بها رب عملها، الأمر الذي يبقى احتمال أن يكون المتصل والداها أو لويزا.

استبعدت شارلوت أن يتصل بها والداها في أول يوم من شهر عسلها، إلا إذا حدث أمر طارئ. راحت شارلوت تصلّي، آملة أن لا يكونا قد تعرّضا لحادث وهما في طريقهما إلى المنزل اليوم. فلم تكن تحتمل فكرة أن يصيب والديها أي مكروه.

أخيراً قالت: «عليّ أن أجيب».

إذا كانت لويزا على الخط، ولا هدف لديها سوى بعض الثرثرة، فإنها سوف تقتلها.

- إذا كان ذلك ضرورياً، فلا بأس.

قال دانيال ذلك وهو يبعدها عنه بلطف، فبادرته شارلوت بابتسامة خجولة قبل أن تنهض من مكانها وتدخل إلى الغرفة.

تناولت الهاتف بسرعة، وضغطت على زر الإجابة، ثم وضعت الهاتف الزهري اللون على أذنها، قائلة بنبرة ملؤها القلق: «نعم؟».

- شارلوت. أنا لويزا.

- لويزا؟ أعتقد بأنني سأقتلك.

- هل قاطعت شيئاً ما؟ آه، عزيزتي! أنا آسفة، لكنني أعلم بأنك تحبين سماع أخباري السارة.

سألتها شارلوت بصوت متعب: «أية أخبار؟».

- لن تحزري أبداً.

- ما رأيك بأن تخبريني بنفسك؟

* * *

استغرق دانيال في التأمل وهو يرتشف العصير، في انتظار رجوع شارلوت. أدرك أن مشاعرها تجاهه أصبحت أكثر عمقاً وقوة منذ وصلا إلى هذا المكان. إلا أنه شعر بالقلق لأنه لا يقوم بأي تصرف يساعده على كسب حبها وموافقتها على استمرار الزواج به. وعاد يقول لنفسه بأن عليه أن يكون صبوراً إلى أن تتعلم شارلوت كيف تحبه.

تبخرت كل مخاوفه وقلقه ما إن عادت شارلوت إلى الشرفة، ورداؤها ملتف بشدة حول جسدها. لم تجلس بقربه كما كانت قبل مغادرتها، بل ارتمت على الكرسي المقابل، في الجهة الأخرى من الطاولة.

سألها دانيال: «هل هناك خطب ما؟».

- لا، ليس هناك من خطب. كانت لويزا على الهاتف. هي وبراد عقدا خطوبتهما، لقد قررت أخيراً الزواج منه.

- لا شك أن ذلك سيسعد براد. لكن، لِمَ أنت مضطربة؟

قالت منكرة: «أنا لست مضطربة، إنني سعيدة لأجلهما».

لكنها، على العكس من ذلك، بدت حزينة، ولم تبدُ مسرورة على الإطلاق. ولم يتحمل دانيال رؤيتها كذلك.

نظرت إليه وتعابير وجهها توحي بالمرارة، ثم قالت: «قالت إنها أقدمت على هذه الخطوة بسبب أمر كنت قد قلته لها».

- وما هو؟

هزّت شارلوت كتفيها بقلق واضح وأجابت: «قلت لها بأنني لا أستطيع استغلال الرجال كما تستغل هي براد. ويبدو أن كلامي جعلها تفكر بالموضوع، فأدركت أخيراً أنها تحبه وأنها ستندم إن لم تتزوجه. وهكذا، أبلغته اليوم بمدى حبها له، وبأنها مستعدة للزواج به، وهما سيحتفلان بخطوبتهما هذه الليلة».

- أنا سعيد لأجلهما، مع أنهما مختلفان في طباعهما تماماً.

- لعل الأمر كذلك، لكن براد يحب لويزا فعلاً.

بدأ دانيال يدرك السبب الذي أقلق شارلوت، فأعز صديقة لديها ستتهيأ للزواج من الرجل الذي تحبه. أما هي، فقد تركها خطيبها وما لبثت أن تزوجت من رجل لا تعرف حقيقة مشاعره نحوها. صديقتها المفضلة أصبح لديها رجل يحبها، أما هي فلم يكن لديها سوى أمثال غاري ودواين...

حتى الآن...

كان دانيال يعتزم الانتظار لبعض الوقت قبل أن يعترف لها بحبه، لكن بدا واضحاً أن الوقت قد حان الآن. قال بلطف ظاهر: «أنت الآن تشعرين بالاضطراب، والأمر لا يتطلب عبقرية لمعرفة ذلك. لكنك، يا شارلوت، فتاة جميلة وذات روح لطيفة ومحبة. أما دواين وغاري فلا شك أنهما أحمقان. دعيني أخبرك...».

فجأة، نهضت شارلوت من مكانها واستدارت لتواجهه: «لا تتجرأ على القول بأن هناك شخصاً أحبني فعلاً في يوم من الأيام، دانيال. إياك أن تجرؤ على ذلك! ماذا تعرف أنت عن الحب، في أية حال؟ فأنت لم تقع في الحب أبداً. ومن المؤكد أنك لا تعرف ما معنى أن تحب شخصاً وهو لا يبادلك الشعور نفسه. إن ذلك.. يحطم قلبك.. أو..».

عند هذا الحد تأوهت ولم تعد تستطيع الكلام، ثم أجهشت بالبكاء.

وقف دانيال على الفور، ثم تقدم إلى الأمام كي يضمها بين ذراعيه. إلا أنها تملصت منه وهي تمسح الدموع من عينيها، فيما تراجعت خطوة إلى الوراء.

شدت الرداء بقوة حول عنقها، وأعلنت بتصميم: «لا! ليس بعد الآن. لا دموع، ولا شيء من ذلك، فأنا لن أحتمل ذلك مطلقاً. إنه شيء عقيم وأحمق. سوف أدخل لأرتدي ملابسي...».

ثم تابعت تقول بتأثر شديد: «.. ثم أقود سيارتي، وأعود إلى سيدني».

وسرعان ما هرعت إلى الداخل.

أسرع دانيال خلفها، وأمسكها من كتفيها، ثم أدارها نحوه. تشابكت عيونهما، وإذا بعينيها تلتمعان بامتعاض مرير، أما عيناه فبدتا يائستين داكنتين.

- لم أكن على وشك أن أقول لك بأن شخصاً ما خارج هذه الغرفة قد أحبك أو هو مستعد لأن يحبك فعلاً في يوم من الأيام. بل أردت أن أقول لك بأن هناك شخصاً هنا بالذات يحبك بجنون.

حدّقت شارلوت في عينيه للحظات، وقد غمرتها الدهشة. لكن سرعان ما تلاشت دهشتها ليحل محلها الغضب.

- أنا لا أصدقك. أنت تكذب.

- لست مضطراً إلى الكذب. فأنا أحبك حقاً.

راحت تهز رأسها قائلة: «لا، لا».

لم يسبق أن حصل لها أمر مماثل من قبل. فالرجال كانوا دائماً يتركونها ويرفضونها، ثم يفسخون ارتباطاتهم معها.

من المؤكد أن دانيال يكذب فقط لإقناعها بالبقاء معه لبضعة أيام قادمة، بحيث يتمكن من مشاطرتها سريرها. إلا أن دانيال أصر على موقفه، فقال: «إنني أحبك فعلاً. والسبب الوحيد الذي منعني من قول ذلك من قبل، هو قلقي من أن لا تصدقيني. أردت منحك وقتاً كافياً لنسيان غاري».

- نسيت غاري بسرعة خاطفة.

أبلغته شارلوت بذلك، لكنها سرعان ما تمنت لو أنها لم تقدم على ذلك

الاعتراف، حين لمحت ملامح الانتصار في عينيه.

قال لها وهو يجبرها على العودة إلى ذراعيه: «ذلك لأنك وقعت في حبي أنا، أليس كذلك؟ اعترفي بهذا، لا تكذبي عليّ».

انفجرت في وجهه قائلة: «وماذا يعني أن أقع في غرامك؟ ماذا سينفعني ذلك؟».

راقبته والدهشة تغمرها، حين تراجع خطوة إلى الوراء، وظهر على وجهه الارتياح التام. ثم قال: «شكراً لك يا إلهي!».

وعندما التقت عيناه بعينيها مرة أخرى، لاحظ بأن اليأس قد اختفى منهما وتبخر الإجهاد تماماً. ولم يظهر فيهما سوى العزم والتصميم.

- إذن، لنتوقف عن هذه التفاهات. أنت تحبينني، وأنا أحبك. ستتزوج من جديد، لكنه سيكون زواجاً دينياً وحقيقياً هذه المرة.

فغرت شارلوت فاهها وقالت: «لكنك أبلغتني بأن لديك حساسية تجاه الزواج».

- أنت خلصتني من حساسيتي تلك.

- يا للتوافق الغريب!

- لا تكوني سخيفة، فهذا لا يلائمك. أنت تعرفين بأنني أحبك. تعرفين ذلك في أعماق قلبك.

ربما، لكن قلبها يقودها دوماً في الاتجاه الخاطئ. ألم يدّعِ كل من غاري ودواين بأنهما يحبانها؟ ومع ذلك أقدم كلاهما على خيانتها. لذا عليها أن تصغي، هذه المرة، إلى صوت عقلها.

- أنت تُسمعني الكلام الذي تظن أنني أرغب في سماعه، ليس إلاّ.

ظهرت تعابير الإحباط على قسمات وجهه، وقال: «ماذا تريدينني أن أفعل كي أقنعك؟ إنني أطلب منك أن تتزوجيني زواجاً حقيقياً، وبأسرع ما يمكن».

- أتظنني لا أعرف بأن إنجاز الطلاق يتم في وقت قياسي عندكم في الولايات المتحدة؟ حتى إنك لست مضطراً إلى دفع أجر لمحامي الطلاق.

- لن أعود إلى الولايات المتحدة. أعني، أنني سأعود بصورة مؤقتة، لترتيب بعض الأمور فقط. ثم أعود إلى هنا. سوف نربي أطفالنا هنا.

سألته بصوت مرتعش: «أطفالنا..؟ أطفالنا نحن؟».

أتراه يعدها بإنجاب الأطفال أيضاً؟

- بالطبع، فعندما يظهر الحب الحقيقي، على المرء أن يبدل رأيه بجملة أشياء. أريد أن أنجب منك أطفالاً، يا حبيبتي. وأظن أنك تريدين ذلك أنت أيضاً.

- إنني.. إنني أريد ذلك.. أوه، دانيال. من الصعب على المرء أن يستعيد ثقته بالآخرين بعد تعرضه للأذى لمرات عدة، كما حدث معي.

قربها دانيال منه، وراح يمسد شعرها قائلاً: «أعرف، أعرف ذلك. لكن الثقة سوف تأتي مع الوقت، انتظري وسوف ترين».

لكن شارلوت لم تشعر بمثل هذه الثقة، فالوقت كان عدوها على الدوام. هل سيظل دانيال على حبها بعد عودته إلى أميركا، أم أن مشاعره هذه هي مجرد أوهام كما كانت مشاعر غاري؟ إنها لا تشك بأنه يظن نفسه واقعاً في حبها، لكن الرجال نادراً ما يستقرون على حب امرأة. كما أنه لم يعرفها على حقيقتها بعد، أليس كذلك؟

قال دانيال بإصرار: «قولي بأنك تحبينني. هيا، قوليها».

قالت بصوت أجش: «أنا أحبك».

جاء صوتها مشبعاً بالمشاعر. ها هو الآن يعرف بأنها مجنونة بحبه.

- وسوف تتزوجينني، زواجاً حقيقاً أيضاً؟

تراجعت شارلوت مسافة كافية كي تستطيع النظر جيداً إليه، وقالت: «أرجوك، لا تطلب مني ذلك الآن، فهذا شيء متسرع جداً، حاول أن

تفهمني، دانيال. أعني بأنك قد.. قد تعود إلى بلادك و.. تغيّر رأيك و..».

بدا وجهه الوسيم جديًا تماماً، وعيناه قويتين وهو يقول: «لن أغيّر رأيي».

- لا أستطيع التفكير بطريقة سليمة وأنا بين ذراعيك.

- حسناً.

عانقها عناقاً رقيقاً مليئاً بالحنان، ما جعلها تترنح لشدة تأثرها، ثم تراجع إلى الوراء قائلاً: «والآن، أطلب منك الزواج للمرة الثانية، هل ستوافقين؟».

عدّلت شارلوت من وقفتها وقالت بإصرار: «قلت لك لا».

ثم تابعت بعد أن غمرها شعور من الفخر: «يمكنني أن أنسى أمر فسخ هذا الزواج المؤقت، في الوقت الحاضر».

- وهل سأنتظر طويلاً؟

- لا أعرف.

- بحق السماء، شارلوت. ظننت بأنك متلهفة إلى الزواج الحقيقي وإنجاب الأولاد. تعرفين أن الزمن لا يعود إلى الوراء، كما أعرف ذلك أنا، تماماً.

استطاعت شارلوت أن تفهم منطقه هذا، لكنها تجاوزت زمن التصرف بشكل يائس. لقد سارت على هذا الدرب في ما مضى، ولن تسير عليه مرة أخرى. لقد اتضح لها بأن الرجال لا يحترمون النساء اللواتي يقعن في شباكهم بسهولة كبيرة. وهي ترغب في الحصول على احترام دانيال كما ترغب في الحصول على حبه.

- لن تدفعني إلى قول كلمة نعم أمام الكاهن، فقط لأنني أحبك. فالزواج الكنسي هو خطوة كبيرة جداً بالنسبة إلى شخصين عرفا بعضهما منذ بضعة أيام فقط. كرّر طلبك هذا بعد شهر من الآن.

- شهراً! ربما أعود إلى لوس أنجلوس في غضون شهر!

رفضت شارلوت أن تغيّر رأيها، وقالت: «يمكننا أن نقيم مراسم ذلك الزفاف عندما تعود إلى سيدني. وأنا أرفض أي طلب منك عبر الانترنت أو عبر

الهاتف. أريد أن أراك وجهاً لوجه. ولا تنسَ إحضار الخاتم في يدك».

ظهر السخط على وجه دانيال، في اللحظات القليلة التالية، لكن ما لبث العبوس أن زال من وجهه، فابتسم قائلاً: «هذا منصف تماماً. أستطيع الانتظار لهذه المدة، ما دمنا سنمضي الأيام القادمة معاً».

- عليّ أن أعود إلى العمل في الأسبوع القادم.

أطلق دانيال تنهيدة، قبل أن يقول: «حسناً، إذا أمضينا الكثير من الوقت معاً في الأسبوعين القادمين».

ثم أضاف مبتسماً: «هل اتفقنا؟».

- أظن ذلك.

- هناك أمر آخر. عندما أعود من لوس أنجلوس، يجب أن نبدأ في أسرع وقت محاولة إنجاب طفل.

- ماذا؟ أتريد أن تجعلني حاملاً؟

- كلما أسرعنا في ذلك، كلما كان ذلك أفضل. ستعرفين عندها بأنني جاد في كلامي.

اعترضت شارلوت قائلة: «لا يمكنني إنجاب طفل قبل إتمام الزواج الكنسي. سيصاب والدي ووالدتي بنوبة قلبية إن فعلت ذلك».

- هل نسيت أنهما يظنان زواجنا هذا دينياً؟

- لكننا نعرف بأن ذلك ليس صحيحاً.

- نعم، لكنهما لا يعرفان ذلك، وخطتي هي بأن نتزوج بهدوء في كنيسة متواضعة، وبأسرع ما يمكن. كل ما أرجوه هو أن توافقي على ذلك قبل أن تصبحي حاملاً، لأنني أحب أن أعتقد بأن موافقتك ليست بسبب حملك بطفلي. كما يجدر بنا أن نخبر والديك بالحقيقة، فهما يحبانك، ويبدو أنهما أحباني أيضاً، لذا أظن أنهما سيتقبلان الحقيقة.

وجدت نفسها تضحك لكلامه، وقالت: «إنك مغرور وقاسٍ حين تصمم

على الحصول على شيء ما، أليس كذلك؟».

- لا، لكنني عنيد عندما أقع في الحب. وأنا أحبك يا شارلوت غايل.

لم تستطع شارلوت إخفاء دهشتها لإعلانه هذا، لكنها ما زالت بحاجة إلى المزيد من الإقناع.

- وما الذي تحبه فيّ؟

ضمها دانيال إلى ذراعيه وهو يقول: «أكثر ما أحبه فيك هو طرحك لمثل هذا السؤال».

حاولت شارلوت أن تبقى على موقفها، فقالت له وقد باتت عاجزة عن التنفس: «لا تظن أنك أعطيتني جواباً بهذا».

قال دانيال بسرعة: «لن يرضيك أي شيء أقوله الآن، يا حبيبتي. لذا دعيني أركّز في المجال الذي أستطيع إقناعك فيه».

- أنت تعرف بأنك لا تستطيع أن تحملني على تغيير رأيي.

حملت ابتسامة دانيال لها الكثير من الارتياح وهو يتمتم: «لعلك على صواب».

ثم أضاف بصوت أجش: «لكن يحق للرجل أن يحاول، أليس كذلك؟».

١٤ - وداعاً أم.. إلى اللقاء؟

قال دانيال: «هذا هو نداء رحلتي».

جاهدت شارلوت للحفاظ على رباطة جأشها، فقد حانت اللحظة التي خشيت وصولها. أجابته قائلة: «نعم، لقد سمعته».

مرّ الأسبوعان المنصرمان بسرعة كبيرة، أما الأيام التي أمضياها في وادي هنتر فكانت مذهلة. كانت، في الواقع، شهر عسل حقيقي. فهما لم يتركا الغرفة إلا لتناول الفطور أو للسباحة أحياناً. أما الغداء فكانا يطلبانه دوماً من قسم خدمة الغرف. ولم يقصدا السوق لشراء العصير المحلّي إلاّ في صبيحة اليوم الذي غادرا فيه المكان.

أما الأيام العشرة التي تلت عودتهما إلى سيدني، فمرّت بالروعة نفسها، على الرغم من اضطرار شارلوت للعودة إلى العمل. وبطريقة ما، فإن ابتعادها عن دانيال خلال النهار، جعل الأوقات التي يمضيانها معاً في المساء أجمل. فكان يصطحبها أحياناً إلى منزل شقيقته لتناول العشاء، أو يخرجان برفقة براد ولويزا إلى السينما، أو يتوجهان إلى أحد النوادي الليلية. إلا أنهما أمضيا معظم المساءات لوحدهما، يتحدثان إلى ما لا نهاية. وقد صارح دانيال شارلوت بكل ما مرّ معه في حياته الخاصة قبل أن يلتقي بها.

أصابتها الدهشة حين أدركت مدى ثراء دانيال. وشعرت بالسعادة لأنه يمتلك الوسائل التي تسمح له بترك وظيفته في أميركا والعودة إليها. أما الخطة التي وضعها دانيال فتقضي بأن يعود إلى سيدني في أسرع وقت ممكن.

شعرت شارلوت بالسعادة لخطته هذه، لكن مع دنو لحظة الوداع، لم تعد

تشعر سوى بخيبة الأمل المشوبة بالخوف. ماذا لو لم يعد على الإطلاق؟

قال دانيال وعيناه تتفحصان عينيها: «لست مضطراً إلى الصعود إلى متن تلك الطائرة يا شارلوت. بإشارة منك فقط أستطيع إلغاء سفري».

ابتلعت شارلوت ريقها بصعوبة. كم يسهل عليها أن تقول: نعم، قم بإلغاء سفرك وابق معي. لكن، يتعيّن عليه العودة إلى هناك في وقت ما، فلم لا يفعل ذلك الآن؟

كان دانيال قد أخّر موعد سفره حتى يوم الأحد، كي لا تضطر شارلوت إلى أخذ يوم عطلة من عملها لوداعه.

شعرت بالامتنان لأن براد ولويزا موجودان معها هنا، فبدونهما يحتمل أن تنهار وترجوه لكي يبقى. هكذا تمكنت شارلوت من الحفاظ على رباطة جأشها. كان براد هو الوحيد الذي وافقها على قصة غرامها العاصف هذا، بالإضافة إلى شقيقة دانيال، بيث، التي بدت متحمسة جداً لكليهما. وهذا الأمر حمل لها بعض العزاء.

- لن تستسلمي للبكاء، أليس كذلك؟

قال لها دانيال ذلك وهو يضغط على يدها التي أصبحت خالية من أي خاتم. فشارلوت قد أعادت خاتم غاري إليه بالبريد، ووضعت خاتم الزواج في الدرج.

أجابته بصوت مخنوق: «لا، لا، سأكون بخير. فقط، عدني بأنك ستتصل بي ما إن تصل إلى الولايات المتحدة، مهما كان الوقت متأخراً هنا».

وعدها دانيال بذلك، ثم توجه إلى براد ولويزا قائلاً: «أعتقد أن من الأفضل ألا تبقى هنا وتشاهد الطائرة وهي تقلع. اذهبوا الآن».

سألته شارلوت بكآبة: «ألن تعانقني مودعاً؟».

قال دانيال: «أفضل عناق اللقاء على هذا. لا، فهذا ليس وداعاً. إنه مجرد «إلى اللقاء» مؤجل».

ثم أعطى براد إشارة للتوجه إلى المخارج، فقال هذا الأخير: «حسناً يا صديقي، تعالي يا شارلوت، حان وقت الذهاب».

وجهت شارلوت نظرة ملؤها الأسى نحو لويزا، إلاّ أنها لم تحصل على الكثير من التعاطف من جهتها. وضعت لويزا إحدى ذراعيها على كتفي شارلوت فيما وضعت ذراعها الأخرى على كتف براد. أما شارلوت، فالتفتت لتلقي نظرة يائسة أخيراً على دانيال من وراء كتفها، فرأته وهو يتوجه نحو بوابة المغادرة.

وفي تلك اللحظة، مرت مجموعة من الناس حجبت عنها رؤيته.

لقد ذهب!

لكنها لم تبتعد كثيراً حتى بدأت ذقنها بالارتجاف. ولم تستطع ركبتاها الواهنتان أن تحملاها لأكثر من عدة خطوات، قبل أن تنهمر دموعها، وتستسلم للبكاء. ولم تعد تستطيع متابعة السير. كل ما رغبت فيه في تلك اللحظة هو الاستلقاء على الأرض والاستسلام للبكاء.

- كنت أعلم أن ذلك سيحصل في لحظة ما.

تمتمت لويزا بذلك وهي تجر صديقتها اليائسة نحو صف من المقاعد، حين انهارت شارلوت على أحدها، وامسكت رأسها بيديها، فيما راحت كتفاها ترتجفان.

ربتت لويزا على ظهرها وهي تقول: «لا بأس يا حبيبتي، سوف تشعرين بالتحسن ما إن يتصل بك هاتفياً، فهو لم يرحل نهائياً. وأنا واثقة من أنه يحبك حقاً. أما أنا، فلطالما كنت سخيفة وساخرة وذات تفكير سطحي».

انفجرت شارلوت بالبكاء، وغطت الدموع وجهها المرتعش، وهي تقول: «لا. أنا هي السخيفة، السطحية التفكير. أخبرني بأنه يحبني، وطلب مني أن نتزوج زواجاً أبدياً، وكل ما استطعت قوله هو إن الوقت لم يحن بعد. إنني أفتقده منذ الآن. أنا مستعدة لأن أعطي كل ما لدي لو أن الزمن يرجع إلى الوراء، لأقول له بأنني لا أريده أن يرحل. أوه، لويزا. ماذا فعلت بنفسي؟».

فاضت الدموع بغزارة على خدي شارلوت، وكانت تسند رأسها بيديها. وهكذا، لم تستطع رؤية دانيال وهو يسير ببطء في اتجاهها. أما لويزا التي شاهدته، فسرعان ما فغرت فاها.

وضع دانيال يديه على فمه ليجعلها تفهم بأن عليها ألاّ تتفوّه بأي كلمة، وسرعان ما اتجه نظر لويزا إلى براد الذي راح يبتسم.

حمدت لويزا الله في سرها، ثم وقفت بهدوء لتترك مقعدها لدانيال الذي وضع ذراعه على كتفي شارلوت المرتجفتين، وقال بنعومة: «وعدتني بألاّ تبكي».

ما إن سمعت شارلوت هذه الكلمات حتى اندفع رأسها إلى الأعلى، بينما اتسعت حدقتا عينيها بسبب الصدمة والحبور، ثم هتفت: «دانيال، هل رجعت؟».

ابتسم دانيال قائلاً: «كانت هذه أقصر رحلة لي على الإطلاق، لم أصل حتى إلى مقعدي».

وسارع يمسح الدموع عن خديها وهو يقول: «لا أستطيع تحمّل البعد عنك يا حبيبتي».

- أوه، دانيال.

- سوف أضطر إلى القيام بهذه الرحلة يوماً ما، لإنهاء أعمالي في الولايات المتحدة، فهل ستتركين عملك وتأتين معي؟

- نعم، سأفعل ذلك بالتأكيد.

- وإذا طلبت منك في هذه اللحظة أن تتزوجيني من جديد، ماذا ستقولين؟

ابتسمت شارلوت على الرغم من دموعها المنهمرة، وقالت: «وهل عليك أن تطلب مني ذلك حقاً؟».

- نعم، يتحتم عليّ ذلك.

ثم أخرج علبة فاخرة من جيبه وفتحها على الفور وهو يقول: «أريدك أن

تضعي هذا في إصبعك قبل أن تغيّري رأيك».

حدّقت شارلوت بالماسة الكبيرة التي تزين الخاتم، ومنعت نفسها من البكاء.

أضاف دانيال: «اشتريته ذات يوم وأنت في مكان عملك، أردت أن يكون الخاتم جاهزاً عندما تسنح الفرصة لاستخدامه. أرجو أن يعجبك».

- يعجبني كثيراً. لكن.. لكنني أريد.. أريد أن أخبر والديّ في أسرع وقت ممكن.

- سنذهب أنا وأنت معاً لزيارتهما، ونشرح لهما كل شيء معاً. أنا واثق من أن والدك ووالدتك سيتفهمان الوضع. فكل ما يريدانه هو أن تكون ابنتهما الصغيرة التي يحبانها سعيدة. وأنت سعيدة الآن، أليس كذلك؟

شعت عيناها بالسعادة مرة أخرى.

ابتسم دانيال، ووضع الخاتم في إصبعها، فإذا به ملائماً تماماً لها، كما أنهما، هما الاثنان، متلائمان معاً.

تأوه دانيال وقد شعر بالسعادة تملأ قلبه، ثم قال: «والآن أظن أن الأوان قد حان لعناق الترحيب».